

51

الذئاب والذئبة للذئب

Looloo

www.dvd4arab.com

مفهوم
توجد
الجزء الثاني

1984

المؤلف



هذا هو الجزء الثاني من قصة
(1984) القصة فائقة الشهرة
للأديب الكبير (جورج أورويل
George Orwell)

لقد تكلمنا عنه في الكتيب
السابق ، ومن المدهني أن من
يقرأ هذا الجزء قد قرأ مقدمة
الجزء السابق ، لكننا على كل
حال نكرره على سبيل التذكير .

ولد (جورج أورويل George Orwell) - أو (أريك أرثر
بليز) - عام 1903 في البنغال بالهند ، لأن أباه كان موظفا
في الحكومة البريطانية هناك . وبعد ولايته بعلم انتقلت الأم إلى
إنجلترا .. وقد بدأ الكتابة في سن مبكرة ، وإن لم يشعر بميل
كثير نحو حياة المدرسة .

عام 1922 سافر (أورويل) إلى (بورما) ليحصل في إدارة
الشرطة ، وهناك بدأ يفهم أن الاستعمار البريطاني عمل قبيح
فاستقل من العمل ، وعاد إلى أوروبا فقيرا حيث قرر أن يكسب
عيشه من الكتابة ، وأطلق على نفسه اسم (جورج أورويل) ،
ونشر كتابه الكبير (أيام في بورما - 1934) ..

روايات عالمية لا يجب

سلسلة جديدة ، تقدم لك أروع ما يزخر به الأدب
العالمي ، في مختلف صنوفه ..
من الألغاز البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..
من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..
من الفروسيات إلى دنيا الأساطير ..
ومن الشرق إلى الغرب ..
وإلى الحضارة ..
والهك ..

د. نبيل فاروق

مال إلى الاتجاه الاشتراكي وسافر لأسبانيا ليكتب عن حربها الأهلية ، ويقاقل مع العمال الماركسيين ، وقد نال من جراء هذا جرحاً في عنقه ، وقد تعلم من هذه الحرب أن يكره الشيوعية ويفضل الاشتراكية بمفهومها الإنجليزي ، وقد كتب عن هذه الفترة (تحية لكاتالونيا - 1938) ، ولصوف نجد نفس المقت للتعلم القومية - الشيوعية بالذات - في قصصه التالية .

في الحرب العالمية الثانية عمل مراسلاً لمحطة (بي بي سي) ، وفي نهاية الحرب كتب رائعته (مزرعة الحيوانات) . كانت هذه القصة فاتحة الخير له ، وكان نجاحه الساحق الآخر هو (1984) ، لكنه لم يعيش ليرى هذا النجاح الساحق .. وفي العام 1949 توفي بالدرن ..

رواية اليوم شهيرة جداً ، وقد تركت علامة دائمة في الأدب والسياسة العالميين .. إنها صرخة ضد القمع والحكم الشمولي .. وهي مليئة بالنبوءات التي توشك على أن تتحقق حرفياً (نعم كتبت نبوءات وقت كتابتها لأن العالم 1984 كان بعد أربعين سنة ولصوف نشم رائحتها القوية في أعمال تالية نذكر منها (451 نهر نهليت برادبوري) و (الرجل الراكض - ستيفن كينج) و (البرنقالة الميكانيكية - آرثر بيرجس) و (عالم جديد رائع - ألدوس هكسلي) وربما فيلم (النائم) - (وودي آلين) ، وقد قدمنا القصتين الأولى والثانية في هذه السلسلة بالذات ..

لا أجد اليوم تعليقاً على هذه القصة سوى ما كتبه الدكتور (جلال أمين) (*) عام 1991 :

« شاهدت قناة CNN الأمريكية فوجدت فيها ما يجسم ما أكرهه في وسائل الإعلام الحديثة : الكفاءة منقطعة للنظير في الكذب ، والإلحاح المستمر على الناس لحملهم على تصديق ما لا يجب أن يصدق ، والبرود وتضخيم أفعاله الأخبار كأنها بلغة الأهمية ، وتجاهل الأخبار المهمة فعلاً ، ووجوه المنيعين تؤكد شعوري بأنني لست أمام كائنات بشرية بل هي وجوه من شمع تتحرك شفاهاً طبقاً لنظام مبرمج سلفاً ، ولا يهدف إلى الإعلام بل غسيل المخ أو بالأحرى تلويثه .

« لكن هذا أكد لي أن ما توقعه (جورج أورويل) قد تحقق بالفعل إنه حكى في قصته (1984) عن أشياء معاكسة لما كان يقوم به البطل الذي كان يعمل في وزارة الحقيقة (مايكل وزارة الإعلام) فقد كان عمله يدل صورة بأخرى أو اسم باسم .. بل إن (أورويل) ذهب أبعد من ذلك فافتراض وجود « لغة جديدة » ، تعرض فيها بعض الكلمات لتغيير أساسي في معناها بحيث تقبل المتناقضات كأنها ممكنة ،

تذكرت هذا حين سمعت تلك العبارة الراقعة (نيران صديقة) Friendly fire تمييزاً عن حالة الموت على يد عدو

« قل (أورويل) أيضاً إن من ملامح اللغة الجديدة الاختصار الشديد في كتابة كثير من الكلمات ، حين يراد إخفاء حقيقة لتجنب المشاعر التي يثيرها نكر للكلمات كاملة .. فأمريكا اليوم تستخدم KIA و WIA و MIA للدلالة على (مقتول في أثناء العمليات) و (مجروح في أثناء العمليات) و (مفقود في أثناء العمليات) بالترتيب كما يستخدم مصطلح TO للإشارة إلى (مسرح العمليات) كأننا بصدد مسرحية للتسلية .

« لقد تعذب صفوة الناس الذين يملكون القدرة على مشاهدة CNN وفهم لغتها الإنجليزية ، بينما لم يشعر البسطاء بشيء ، وهو يمثل نبوءة (أورويل) حين قل : إن علماة الناس (البروليتاريا) ، هم وحدهم الذين يحتفظون بقواهم العقلية بسبب عجزهم عن الفهم .. لقد بلعوا كل شيء ولم يلحقهم الضرر من ذلك .. لأن ما دخل معدتهم خرج منها دون أن يترك أثراً ، وكله حبة ذرة تمر بجسد عصفور وتغادره دون أن تهضمه » .

يكفى الكلام عن الرواية ، ولنقرأ الجزء الثاني من الرواية ذاتها

و. أحمد خالد

الفصل العاشر

قالت له (جوليا) :

« يمكننا أن نلتي هنا ثلثية .. من المأمون علماة أن تستخدم أي مخبأ مرتين ، لكن ليس لشهر أو اثنين بالطبع .. »

كان سلوكها الآن قد تغير . صار عملياً يقظاً .. وقد أدرك أنه من الأفضل ترك طقوس السرية لها ، فقد كانت تملك طبيعة مراوغة يفتقر إليها (ونستون) .. كما أنها تعرف بالتفصيل الريف حول (لندن) ، وهي خبرة كونتها من عشرات المخيمات الجماعية السابقة ..

اختارت طريقاً غير الذي جاء منه وقادته إلى محطة مختلفة وقالت له :

« إياك أن تعود أذراجهك من نفس الطريق الذي جئت منه .. »

سوف تعود هي أولاً بينما ينتظر هو نصف ساعة قبل أن يتبعها ..

حددت له مكاناً يمكن أن يلتقيا فيه بعد أربعة أيام .. كان شارعاً في حي فقير حيث يوجد سوق مزدحم صاخب ..

ولسوف تقف هي متظاهرة بالبحث عن أربطة حذاء أو خيط للتطريز ، ولو أحست أن الجو آمن فلسوف تتمخط بصوت عال إذ يدنو هو ، وإلا فعليه أن يمر بها دون أن يتعرفها .. لكن بشيء من الحظ يمكن أن يتكلما ربيع ساعة وسط الزحام ، ويحددوا موعداً آخر ..

قالت له :

- « الآن يجب أن أرحل .. يجب أن أعود في التاسعة والنصف .. أليس هذا مزعجاً ؟ والآن وداعاً يا حبيبي .. وداعاً ! »
وسرعان ما توارت بين الأشجار دون ضوضاء ..

حتى هذه اللحظة لم يعرف لقبها ولا عنوانها .. لكن لا فارق .. فمن المستحيل أن يتقبلا في مكان مطلق أو يتبدلا أي نوع من الكلام المكتوب .

لفترة طويلة ظلا يتقابلان في الشوارع ، ولمدة نصف ساعة في كل مرة ، وكذا يمشيان دون أن ينظرا لبعضهما . ويتبدلان عبرات قصيرة كقها البرق ، سرعان ما تتوقف لدى هربهما من تليسكوبين لورؤية زى الحزب .. وبدا أن (جوليا) تجيد تعلمها هذا النوع من المحادثات التي كانت تسميها (الكلام بالتفسيط) ، بل كانت تجيد الكلام وشفتاها مغلفتان ..

بالإضافة لهذا كان وقتها ضيقاً بسبب تشغالها بالاجتماعات النسائية للحزب ، وكتابة لافتات أسبوع المقت ، وكانت تقول له إن هذا مهم للتكر .. لو أنك التزمت بالقواعد الصغرى ، فمن السهل أن تخرق القواعد الكبرى .

كانت (جوليا) في السادسة والعشرين ، تعيش في بيت شطب مع ثلاثين فتاة أخرى (كانت تقول له : دائماً أنا وسط عفن النساء ! لكم أكره النساء !!) كانت تعمل على الآلات التي تكتب القصص ، وكانت تحب هذا العمل لأنها تجد نفسها مع المحركات .. منذ أن تبدأ الفكرة كتوجيه لدى إدارة التخطيط ، حتى تمر بالمسلسل الأخيرة لدى فرقة (إعادة الكتابة) ، لكنها لم تكن تحب القراءة .. إن الكتب مجرد سلعة يجب إنتاجها بوفرة مثلها مثل أربطة الحذاء أو المربى .

كما أنها عملت لفترة في إدارة الألب الإبلحي Pornosec ، حيث ينتج الحزب كتباً مصورة تحمل عناوين مثل (ليلة في مدرسة البنات) .. إلخ .. وهذه كانت تباع لشطب البروليتاريا الذي يقبل على شرائها معتقداً أنه يقرأ شيئا (غير قانوني) .. بينما الحزب هو المصدر الوحيد لهذه الكتيبات ، والغريب هنا أن الإدارة كانت تتكون من الفتيات فقط ، لأن الحزب يخشى أن يتأثر الرجال بالقاذورات التي يتم إنتاجها هناك .

لم تكن (جوليا) ذات ميول ثورية ، ولم تكن تؤمن بوجود أية ثورة ضد الحزب .. فقط كانت تريد أن تستمتع بحياتها وتبقى

حية في الوقت ذاته .. إنها ولدت تحت سيطرة الحزب واعتبرته شيئاً ألياً كالسماء .. لا أمل في تدميره ، فقط تحاول أن تتحاشاه كما يتفادى الأرنب كلب الصيد .

« كيف كانت زوجتك ؟ »

« كانت .. مثلما نقول اللغة الجديدة (نقية التفكير) .. كانت غير قادرة على التفكير في أي شيء بمنح الحزب .. لم تكن تفكر أصلاً .. كانت تأخذنا إلى حفل ممل كل أسبوع .. كانت تكرهه من أعماقها لكنها لم تكف قط عن الذهاب إليه بإصرار ، وتدعو ذلك .. »

« دعني أضمن .. واجبنا نحو الحزب .. »

كان الحزب يعارض العلاقات العاطفية باعتبارها نشاطاً فردياً متمرداً .. ثم إن كبت العواطف كان يقود الناس إلى الهستيريا ، وهذه الهستيريا يسهل تحويلها إلى عدوانية .. رغبة في الحرب .. كراهية لأعداء الحزب .

باختصار كان الحزب يستغل تلك الطاقة الطبيعية الجامحة ويحولها لصالحه .. هكذا يهتم الناس بالأخ الأكبر أكثر ويصرخون في المظاهرات ..

نفس الشيء حدث للأسرة .. إن الأسرة لا يمكن تدميرها ، لهذا يربى الأطفال على أن ينقلبوا ضد ذويهم .. هكذا تحولت الأسرة إلى أداة تحيطك بالمخبرين ليلاً ونهاراً ..

زوجته (كاترين) كانت بالتأكيد ستبلغ أمره لشرطة الأفكار ، فقط لو لم تكن غبية إلى هذا الحد ..

« لماذا لم تضربها علكة ساخنة ؟ »

« تمنيت ذلك لكن هذا ما كان ليغير أي شيء .. »

« ولماذا تأسف إذن مادام الأمر بلا جدوى ؟ »

« أعرف أن الوضع مستحيل ولن يتغير .. لكني تمنيت لو فعلت شيئاً إيجابياً .. ما دامت الهزيمة أكيدة فإن بعض الهزائم تكون أفضل ممن سواها .. »

لم تقبل هذه الفكرة .. كانت تكره الاعتراف بالهزيمة بطبيعتها ؛ لكنها لم تكن تعرف أنه في اللحظة التي تبدأ فيها أفكارك في معارضة الحزب ، فباتك تعلن أنك قد صرت جنّة ..

الفصل الحادى عشر

أدار (ونستون) عينيه فى الغرفة الصغيرة التى تقع فوق متجر مستر (شارنجتون) .. جوار النافذة كان الفراش مغطى بأغطية ممزقة ووسادة عارية ، راح قلبه يقول له : حمالة .. حمالة .. حمالة مجتية لتحارية .. من بين كل الجرائم التى يمكن أن يرتكبها عضو الحزب هذه أقلها قابلية للإخفاء ..

لقد تخلى له (تشارنجتون) عن الغرفة . إن الفردية والخصوصية شيء ثمين جداً .. الحاجة إلى أن تكون فى مكان تبقى فيه وحيداً ، كان هذا جنوناً .. وكان يعرف أنه يخطو نحو قهره بشكل محتم أكيد ، كما أن رقم 99 يسبق رقم 100 .. لا بد من أن يأتى .. فقط أنت تحاول أن تؤجله بعض الوقت ..

لقد اختلفى (سليم) .. جاء يوم لم يعد فيه فى العمل ، وقد علق قليلون على غيابه ، فى اليوم التالى لم يذكر أحد اسمه .. وفى اليوم الثالث اتجه (ونستون) إلى الردهة فى قسم السجلات ليرى قائمة الملحوظات ، كانت إحدى القوائم تتضمن أسماء لجنة الشطرنج التى كان (سليم) عضواً فيها .. كانت كما هى وإن قصرت اسماً واحداً ، وكانت هذه هى الإجابة .. (سليم) قد كف عن الوجود .. بل هو لم يوجد قط ..

كان الطقس حاراً وفى متاحات الوزارة ظلت أجهزة التكييف تعمل ، فاحتفظت الغرف بحرارة معقولة ، ولكن فى الخارج كانت الحرارة حارقة وكانت رائحة أنفاق المترو فى ساعة الذروة لا تطلق ، كانت استعدادات أسبوع المقت تجرى على قدم وساق .. مولكب .. لقاءات .. استعراضات عسكرية .. محاضرات .. عروض فيلمية ، كل هذا يجب أن ينسق من جديد ، الأغاني تكتب .. الإشاعات تنشر .. الصور تزييف ..

وفى المساء كان الجو محموماً أكثر من اللازم .. القنابل الصاروخية تهوى أكثر من المعتاد .. وبعيداً كانت انفجارات صاخبة لا يعرف أحد كنهها ولكن تحيط بها إشاعات عنيفة ..

ثم تأليف النشيد الجديد الخاص بأسبوع المقت (واسمه نشيد المقت) وكان كئنه دقات طبل متوحشة .. مع زئير منات الأصوات .. كان الناس مولعين به فى الشوارع ، وكان طفلاً (بارسون) يعزفانه طيلة اليوم ، أما (بارسون) فقد كان يؤكد أن (فكتوريا ماتشنتز) وحدها ستعلق أربعمائة متر من الأعلام .. كان فخوراً سعيداً كطائر .. كان فى كل مكان فى الآن ذاته .. يدق .. ينشر .. يشد .. يرتجل .. ويطلق من كل ثنية فى جسده منونة لا تنتهى من العرق كديه الرائحة ..

وفى كل مكان انتشر ملصق عملاق يمثل جندياً من (إيوراسيا) .. ينظر لك بوجهه المغولى وهو يصوب بندقيته

نحوك .. يمكنك أن تراها من أية زاوية .. وقد أثر هذا في العامة الذين لا يبالون عامة بالمشاعر الوطنية .. وساعد على هذا أن القنابل كانت تسقط أكثر من اللازم هذه الأيام ..

لهذا خرجت المظاهرات الغاضبة ، وأحرقت تماثيل (جولدشتاين) ، وأحرقت مئات النسخ من ملصق الجندي ..

لذا كان يهرب إلى تلك الغرفة متجر مستر (تشارنجتون) .. لقد صارت هذه الغرفة كأنها الملجأ .. إن بلوغها خطر لكنها هي ذاتها تبدو آمنة أبدية .. كأنها عالم حيوانات منقرضة .. مستر (تشارنجتون) نفسه كان حيواناً منقرضاً ، حيث يجلس في متجره لا يبيع شيئاً على الإطلاق ، ولا يخرج منه أبداً .. ويتعامل مع بضاعته كأنه جامع تحف وليس تاجراً ..

كانت (جوليا) تلقى (ونستون) من حين لآخر هناك ، فيحلمان معاً بأنهما سيظلان آمنين ، وسوف يلتقيان حتى تنتهي حياتهما .. لربما تموت (كاترين) زوجته وبمعجزة ما يتمكنان من الزواج .. لربما ينتحran معاً أو يفران ويغيران شخصيتيهما ، لينوبا وسط (البروليتاريا) .. يعملان في مصنع ويقضيان حياتهما دون أن يجدهما أحد ، كلتا يعرفان أن هذا هراء .. في الحقيقة لا يمكن الفرار .. وحتى الانتحار لن يفعلاه لأنهما سيظلان يعيشان من يوم ليوم بدافع غريزي كالذي يجعلك تجذب الهواء إلى رئتيك ..

كانت تؤمن أن كل واحد يكره الحزب ، لكنه لا يجد الشجاعة ليعلن هذا ، وما كانت تؤمن بوجود تنظيم مثل (الأخوة) يرتب هذه الأمور . كانت تعتقد أن الكلام عن (جولدشتاين) وجيشه تحت الأرض مجرد هراء اختلقه الحزب ، وعليك أن تتظاهر بأنك تصدقه .

لقد شاركت كثيراً في الصراخ في أثناء عمليات الإعدام العلني ، لأشخاص لا تعرفهم ارتكبوا أشياء لا تؤمن بأنها جرائم .. لكنها كانت تقف من الفجر حتى المساء صارخة بعنف : الموت للخونة !

وفي اجتماعات المقت كانت تبرز الجميع في الهتاف ضد (جولدشتاين) ، برغم أنها لا تعرف شيئاً عن الرجل ولا ما قام به .. إن الحزب لا يقهر وسيظل للأبد .. الثورة الوحيدة ضده هي أن تكف عن طاعة أوامره سرّاً ..

كانت غريبة في معتقداتها ، وأقل قبولاً منه لدعاية الحزب .. فحين حدثها ذات مرة عن الحرب على (أوراسيا) كان رأيها أنه لا توجد حرب .. القنابل الصاروخية التي تقتل الناس في الشوارع تطلقها حكومة (أوشيتيا) ذاتها . فقط لتبقى للناس خلفين ..

هذه فكرة لم تخطر له ببال قط ..

كانت مستعدة لقبول التخريف فقط ، لأنه لا فارق لديها بين هراء وهراء آخر .. وقد أدهشها حين قال لها إن الحزب لم

يخترع الطائرة .. الطائرة كانت موجودة قبل أن يولد .. تدهشت قليلاً ، ثم نسيت الأمر .. فلية أهمية لمعرفة من اخترع الطائرة على كل حال ؟

مثلاً أثارت غيظه لأنها نسيت أنه منذ أربعة أعوام كانت (أوشياتيا) تحارب (إيستاسيا) .. كانت تحسب أنهم كانوا يحاربون (أيوراسيا) منذ الأزل .. وقد أدهشه أنها لا تبالي كثيراً بتذكر اسم العدو الذي يحاربونه .

- « ما الفارق ؟ نحن نعرف أن هناك حرباً لعينة تلي حرباً أخرى لعينة .. والأخبار كلها كذب على كل حال .. »

لكنها لا تفهم بشاعة ألا يكون هناك ماض . كل شيء هو حاضر ممتد فيه الحزب يوماً على حق .. لقد تم تزوير التاريخ ، ولكني لا أقرر على إثبات هذا برغم أنني زيفته بنفسى .. الليل الوحيد هو في عقلى أنا ..

كانت لا تبالي بشيء ولا تفهم كلمة عن فلسفة الحزب ..

إن فكرة الحزب تبدو واضحة ناجحة مع الناس الذين لا يفهمونها .. يمكن جعلهم يقبلون خرق الحقيقة لأنهم لا يفهمون فداحة ما يطلب منهم .. ويعجزهم عن الفهم ، يحتفظون بعقولهم .. كانوا يملعون أى شيء فلا يؤذيهم أى شيء يبتلعونه .. لأنه لا يترك أثراً كأنه حبة ذرة تخرج دون هضم من معدة عصفور ..

الفصل الثانى عشر

كان يمشى فى الردهة الطويلة بالوزارة .. وكان تقريباً عند البقعة التى ناولته فيها (جوليا) المذكرة ، حين أحس بأن شخصاً أضخم منه يمشى ورائه .. أطلق هذا الشخص - لئلا من كان - سعة كمقدمة للكلام كما هو واضح ، فتوقف (ونستون) واستدار .. كان هذا (أوبرايان) (*) .

أخيراً هما وجهاً لوجه .. وبداله أن رغبته الوحيدة هى الفرار ، وتوالت قلبه بوحشية ، لكن (أوبرايان) واصل المشى واضعاً يداً وبوداً للحظة على ذراع (ونستون) بحيث صارا يمشيان جنباً لجنب ، وبدأ يتكلم بتلك الطريقة المجاملة التى تميزه عن باقى أعضاء الدائرة الداخلية للحزب .

- « وددت يوماً أن أتحدث إليك . كنت أقرأ مقالة من مقالاتك عن (اللغة الجديدة) فى (التايمز) .. أنت مهتم باللغة الجديدة بشكل أكاديمى .. أليس كذلك ؟ »

- « ليس بشكل أكاديمى .. أنا مجرد هاو ، ولم أتخصص يوماً فى التركيب اللغوى .. »

- « لكنك كتبت ببراءة .. كنت أتحدث مع صديق من أصدقائك منذ فترة . لقد نسيت اسمه .. »

(*) أنكر ثقلان أن (أوبرايان) هو عضو الحزب المهم ، الذى يشعر (ونستون) بأن ولاءه - ربما - ليس كاملاً للحزب ..

خلق قلب (ونستون) .. من الجلى أن هذه إشارة إلى (سليم) ..
لكن (سليم) قد تلاشى .. صر (لا شخص) .. ولية إشارة له قد
تكون خطرة بشكل معين ، هل هذا تلميح ما ؟ وواصل الاثنان
المشي في الردهة ، ثم إن (أوبرايان) أصلح من وضع
عويناته بتلك الطريقة الراقية التي يجيدها وأردف :

« لاحظت أنك استعملت في مقالك لفظتين منقرضتين .. هل
رايت الطبعة العاشرة من قاموس (اللغة الجديدة) ؟ »

« لا .. لم نعرف أنه صدر .. مازلتا نستعمل الطبعة للتسعة
في قسم السجلات .. »

« لم تصدر بعد ، لكن هناك طبعات محدودة منها ..
يمكنني أن أطلعك عليها لو أردت . »

« بالتأكيد .. »

قالها وهو يتحرق لمعرفة إلام يقود هذا ..

« ربما تلقى لدارى فى أى وقت كى تأخذها .. سأعطيك
عنواني ؟ »

وقف (أوبرايان) أمام التليسكوبين ، فى وضع يسمح لكل
من يراقب الشاشة أن يرى ما يكتبه ، وأخرج قلمًا وورقة
وخط عنوانًا .. ثم ناول الوريقة لـ (ونستون) .

« أكون فى البيت عادة ليلاً .. لكن لو لم أكن فإن
خادمى سيعطيك القاموس .. »

واتصرف بينما وقف (ونستون) ممسكًا بقطعة الورق
التي لم يكن هناك داع لإخفائها ، إلا أنه فى وقت لاحق
تخلص منها فى إحدى الفتحات المخصصة للمهمات ،

لم يكن هناك معنى لهذه المحادثة .. بل من الواضح أنها
مفتعلة فقط كى يعرف عنوان (أوبرايان) .. وكان هذا
مهمًا ، لأنه من المستحيل أن تعرف أين يعيش أى واحد .

لم يقل الرجل شيئًا ، فربما ترك له رسالة فى القاموس ..
لكن هناك شيئًا واحدًا : المؤامرة التي حلم بها (ونستون)
كثيرًا موجودة فعلاً .. بل إنه على حافتها الخارجية الآن ..

كان فقط يعرف أنه عاجلاً أم آجلاً سيقبل دعوة
(أوبرايان) .. ربما اليوم لو غذا ..

لقد تحرك من الأفكار إلى الكلمات .. والآن من الكلمات
إلى الأفعال .. الخطوة بعد هذا ستكون فى وزارة الحب ..
هذا محتم وإن كان مفزعًا .. كأنما ينتقص من حياتك .. لقد
شعر برجفة تملكه وهو يكلم (أوبرايان) .. كان يشعر بأنه
يخطو إلى رطوبة قبره ، وكان يعرف دومًا أن القبر ينتظره .

الفصل الثالث عشر

قال له (جوليا) :

- « هل تعرفين ؟ حتى هذه اللحظة كنت أعتقد أنني قتلت
أمي ؟ »

سألته :

- « لماذا قتلتها ؟ »

- « لم أقتلها .. ليس بالمعنى للعادي ؟ »

لا بد أنه كان في الثانية عشرة وقتها . لقد اختفى أبوه
قبل ذلك لا يذكر منذ متى . فقط يذكر الصخب والضوضاء
والذعر المتكرر من الغارات الجوية ، والاختباء في مترو
الأنفاق .. عصابات الشباب من ذوى القمصان الموحدة ،
والطوابير على المخابز ، وطلقات الرصاص المتقطعة من
بعيد .. وأهم من كل هذا حقيقة أنه لا يوجد ما يكفي
للأكل .. حين اختفى أبوه لم تظهر أمه أى حزن أو دهشة ..
ولكن تغيراً طرأ عليها ، بدا كأنما فقدت حيويتها تماماً ،

وبدأ له (ونستون) أنها تنتظر شيئاً توقن بحدوثه ، كانت
تقوم بالمطلوب منها .. تظهر وتختفي وترتب الفراش
وتمسح الأرضية .. دائماً بحركة بطيئة كأنما هي قالب نحت
من الصلصال يتحرك من تلقاء ذاته ، أحياناً كانت تجلس
لساعات في الفراش تعنى بأخته .. التى صار وجهها كوجه
قرود من فرط الهزال ، وأحياناً تضم (ونستون) إلى صدرها
دون أن تقول شيئاً .

يتذكر أمه منحنية فوق موقد الكيروسين تحرك شيئاً ما
في وعاء الطعام . كان يسألها بالباحح مراراً وتكراراً لماذا
لا يوجد المزيد من الطعام .. يذكر نبرات صوته وهو يصرخ
محتجاً .. وكنت أمه مستعدة دوماً لإعطائه أكثر من نصيبه ،
فقد كنت تؤمن أنه - الولد - يجب أن ينال نصيباً أكبر ، لكن
مهما أعطته كان يطلب المزيد ، وفي كل مرة تذكره ألا يكون
لثانياً وأن يتذكر أخته السقيمة ، لكن بلا جدوى ، كان يعرف
أنه يجيب الاثنين الآخرين لكن لم تكن له حيلة في هذا ..
بل كان يشعر بأن لديه الحق في ذلك .. وبين الوجبات حين
تغفل عين الأم عنه كان يسطو على مخزون الطعام البائس
فوق الرف ..

ذات مرة كانت هناك حصّة شيكولاته .. ولم تكن هناك حصص كثيرة في تلك الشهر ، وكان لوح يزن أوقيتين يوزع على ثلاثتهم .. فجأة وجد نفسه يطالب بالقطعة كلها .. طلبت منه أمه ألا يكون جشعا ، وبدأ الكثير من الصراخ والاحتجاج والمساومة والدموع .. بينما أخته الصغيرة تتعلق بأمه بالضبط كأنها فرد صغير ، وتنتظر له بعينين واسعتين حزينتين ..

في النهاية قسمت الأم الشيكولاته إلى ثلاثة أرباع أعطته إياها ، وربع لأخته .. ظلت أخته ترمق للقطعة لفترة لا تعرف كنهها ، هنا انقض (ونستون) على القطعة لينزعها من يد أخته ويفر من الغرفة ..

« (ونستون) !! عد هنا وأعط الشيكولاته لأختك ؟ »

توقف في منتصف المسافة ونظر للوراء .. فهمت الطفلة أنها سلبت شيئا فبدأت تن بوهن .. هنا للمرة الأولى أدرك أن الطفلة تموت .. أسرع يركض هاربًا بينما الشيكولاته تنوب في يده ..

ولم ير أمه ثانية .. لقد التهم الشيكولاته فبدأ يشعر ببعض الخزي من نفسه .. وراح يجوب الشوارع لساعات حتى أعلاه

الجوع للبيت .. وحين عاد كانت أمه قد اختفت .. لم يختف شيء في الحجرة إلا أمه وأخته .. وحتى اليوم ليس متأكدًا تمامًا إن كانت أمه قد ماتت أم لا ..

من الممكن أن تكون أرسلت لمصكر للعمل الإجباري .. أما أخته فلربما نقلت إلى إحدى مستعمرات الأطفال ناقصى الأهلية (مراكز الإصلاح كما يسمونها) .. أو ربما تركوها حيث هي لتموت ..

حكى لـ (جوليا) قصة اختفاء أمه فقالت :

« اعتقد أنك كنت خنزيرًا صغيرًا في ذلك الوقت .. كل الأطفال خنازير .. »

لم يعتقد أن أمه كانت غير عادية .. ربما كانت محدودة الذكاء .. لكن كان فيها نوع خاص من النبيل .. نوع من النظم .. حين لا تملك ما تعطيه لشخص تحبه فباتك تمنحه الحب فقط .. لقد ذهبت آخر قطعة من الشيكولاته ، لهذا احتضنت طفلتها إلى صدرها .. لاجدوى من عمل كهذا ولا يغير شيئا ولم يجلب المزيد من الشيكولاته .. لكن بدا من الطبيعي لها أن تفعل هذا ..

تلك المرأة في القارب في ذلك الفيلم غطت الطفل بذراعها .. وهذا لن يقيه من الرصاص أكثر مما يقيه ورقة .. الشيء المخيف هنا أن الحزب استلبك تقدير المشاعر .. جعلك تدرك أن العواطف لا قيمة لها ..

بينما منذ جيلين لم يكن الناس يفكرون إلا بعواطفهم ،
ولا يهمهم شيء إلا سلامة من يحبون .. غشاق .. سمعة .. كلمة
تهمس في لحن محتضر .. هذه أشياء لها قيمة في حد ذاتها ..
البروليتاريا احتفظوا بعواطفهم .. ليس لهم ولاء إلا تجاه
بعضهم .. إنهم أكثر إنسانية ورقة ..

- « البروليتاريا كانت بشرية بينما نحن لسنا كذلك . »

قالت (جوليا) :

- « لم لا نكون ؟ »

- « ألم يخطر لك أنه من الخير ألا تربتي ثاتية ؟ أنت
شابة ونقية .. ولو ابتعت على الآن فمن الممكن أن تعيشي
خمسين عامًا أخرى .. »

- « فكرت في الأمر . لكن لا .. لا تكن منخفض المعنويات ..
لقد برهنت على براعتي في البقاء حية .. »

- « لو قبضوا علينا فلن يوجد ما نستطيع عمله لبعضنا ..
لو تكلمت فلسوف يعدمونك .. ولو عذبوني ولم أتكلم
فلسوف يعدمونك أيضًا .. لا فارق .. لن يعرف أحدنا إن كان
الآخر حيًا .. فقط علينا ألا يخون أحدنا الآخر ورغم أن هذا
لن يحدث أي فارق .. »

- « لو كنت تعني الاعتراف فلسوف نعترف .. الجميع
يعترف .. لا حيلة لك لأنهم يعذبونك .. »

- « لا أعني الاعتراف .. الاعتراف ليس خيانة .. أتكلم
عن المشاعر .. لو جعلوني أكف عن حبك فهذه هي الخيانة
فعلًا .. »

- « ليس بوسعهم هذا .. يمكنهم أن يجعلوك تقول أي
شيء ، لكنهم لا يستطيعون جعلك تؤمن به .. لن يصلوا إلى
داخلك .. »

فكر في شاشات التليسكوب بعونها التي لا تنام .. يمكنهم
التجسس عليك لكن لو احتفظت بعقلك فسوف تنصر عليهم ..
برغم براعتهم ليس بوسعهم معرفة ما تفكر فيه .. لا يعرف
أحد ما يجري في (وزارة الحب) لكن بوسعك التخمين :
تعذيب .. عقاقير .. أجهزة تسجيل ردود أفعالك العصبية ..
لرق يرهقك بالتكرير .. إن الحقائق يمكن الحصول عليها ..
يمكن اعتصارها منك . لكن ما الفرق ؟ ليس بوسعهم تغيير
مشاعرك ، لأنك أنت نفسك لا تستطيع مهما حاولت ..

ولقد هما عبر ممر له جدران نظيفة .. ولم يكن (ونستون) ينكر أنه رأى في حقيقته جداراً لم يتسخ من لمس الأجساد ..

كانت بين يدي (أوبرايان) قصاصة ورق يدرسها بامعان . ولمدة عشرين ثانية لم يتحرك ، ثم جذب آلة الإملاء نحوه وأملى رسالة برطانية للوزارات :

" Items One Comma Five Comma Seven Approved Fullwise Stop Suggestion Contained Item Six doubleplus Ridiculous Verging crimethink Cancel Stop Unproceed Constructionwise "

ومشى متجهاً لهما فوق السجادة التي تبتلع صوت الخطوات .. بدا كأنما تخفف نوعاً من الجو الرسمي لكنه كان متجهاً كأنما يكره المقاطعة .. هنا شعر (ونستون) بالخرج . على أي أساس افترض أن (أوبرايان) متآمر ضد الحزب ؟ أعلى نظرات عيون وإشارات ؟ لم يعد بوسعه أن يدعى أنه جاء لافتراض القاموس .. لأن وجود (جوليا) لا يمكن تفسيره في هذه الحالة ..

استدار (أوبرايان) وضغط على زر شاشة التليسكوب ، فاختفى الصوت .. ها لم يتمالك (ونستون) أن يسأل :

« أنت .. تستطيع أن تغلقه ؟ »

الفصل الرابع عشر

لقد نجحاً أخيراً ! فعلاها أخيراً !

كانت الغرفة التي يقفان فيها طويلة ناعمة الإضاءة ، وقد تم تعميم شاشة التليسكوب . والبساط الأزرق الغامق يعطيك شعوراً بأن قدميك تغوصان في المخمل . وفي نهاية الغرفة يجلس (أوبرايان) إلى منضدة وجواره كومتان من الورق . ولم يكلف نفسه بالنظر لأعلى حين أدخل الخادم (ونستون) و (جوليا) ..

كان قلب (ونستون) ينبض بقوة حتى إنه شك في قدرته على الكلام .. كان عملاً أخرق أن يأتيها هنا ، وحماسة أن يأتيها مفا .. برغم أنها جاءا من طريقين مختلفين والتقيا على عتبة (أوبرايان) ..

كان من الفادر جداً أن يرى المرء داخل منازل دائرة الحزب الداخلية . حتى المنطقة السكنية كانت لها راحة غريبة هي راحة الطعام الجيد والطباق الجيد ، والخدم بشبابهم البيضاء يهرعون من هنا وهناك ..

لقد سمح لهما خاتم (أوبرايان) بالدخول دون اعتراض .. كان شاباً أسود الشعر له وجه يشبه الماسة عديم التعبير .

- « نعم نستطيع أن نغلقه مؤقتاً .. إن لنا هذه المزية .. »

بدأ أنه ينتظر من (ونستون) أن يتكلم .. لكن عن أى شيء ؟

لقد صارت الغرفة صامتة كالموتى بعد إغلاق الشاشة ..

ثم بدأ وجه (أوبرايان) يتخذ ما يشبه الابتسامة .. وبحركته المعتادة أعاد تثبيت العينات على أنفه ، وقال :

- « هل أقولها أم تفعل أنت ؟ »

- « هل أنت متأكد من أن هذا الشيء مطلق ؟ لقد جننا

لأننا .. »

وللمرة الأولى أدرك غموض دوافعه . فهو لم يكن

يعرف ما يريد من (أوبرايان) .. وبدأ يتكلم فكان ما قاله مليئاً بالزيف :

- « نؤمن بوجود مؤامرة .. منظمة سرية تعمل ضد

الحزب .. وأنت متورط معها .. نريد أن ننضم لها فنحن

أعداء الحزب .. نحن مجرماء أفكار .. نحن خائنون .. أقول

هذا لأننا نضع أنفسنا تحت رحمتك .. »

ثم توقف لأن الباب من خلفه انفتح . كان هذا هو الخادم

يحمل صينية عليها زجاجة وكنوس ..

قال (أوبرايان) بلا مبالاة :

- « (مارتين) واحد منا . ضع المشروبات هنا يا (مارتين) ..

ثم اجلس معنا .. يمكنك أن تكف عن أن تكون خادماً للعشر

الدقائق التالية .. »

جلس الرجل على راحته .. وبرغم هذا لم يتخلص بعد

من طابع الخادم ..

رفع (أوبرايان) كأسه وقال :

- « سنشرب نخب قاتلنا .. (إماتويل جولدشتاين) .. »

شرب (ونستون) كأسه بلهفة .. وقال :

- « إنني هناك شخص مثل (جولدشتاين) ؟ »

- « نعم . هناك شخص كهذا .. وهو حي .. لا أعرف

أين يقينا .. »

- « والمؤامرة . التنظيم ؟ هل هو حقيقى وليس مجرد

اختراع من (شرطة الأفكار) ؟ »

- « بل هي حق .. (الأخوة) كما نناديها .. سأعود لهذا

فيما بعد .. »

ثم نظر إلى ساعته وقال :

- « ليس من الحكمة - حتى بالتمسبة لأعضاء دائرة الحزب الداخلية - أن يفلقوا التليسكرين أكثر من نصف ساعة .. ما كان لكما أن تأتيا معاً ، وعليكما أن ترحلا منفصلين .. أنت يارقيقة .. » - وحنى رأسه لـ (جوليا) - « مترجلين أولاً .. لدينا عشرون دقيقة لهذا سابداً بسؤالك : ماذا بوسعك أن تفعل ؟ »

قال (ونستون) :

- « كل ما بوسعنا .. »

- « مستعدان للتخلي عن حياتكما ؟ »

- « نعم .. »

- « ترتكبان عمليات تخريب قد تقتل منات الأبرياء ؟ »

- « نعم .. »

- « ترتيفان .. تسرقان .. تخربان عقول الأبطال .. ترتكبان

أى شيء يخفف من قبضة الحزب الأخلاقية ؟ »

- « نعم .. »

- « مستعدان لفقد هويتكما .. وأن تعيشا بقية حياتكما كسقاة أو عمال في مرفأ ؟ »

- « نعم .. »

- « مستعدان للانفصال عن بعضكما ؟ »

- « لا .. »

كذا صاحت (جوليا) .. واستغرى (ونستون) الكثير من الوقت حتى يخرج مقاطع رده :

- « لا .. »

قال (لوهرليان) لـ (مارتين) :

- « ربما كان من الأفضل أن تعود إلى المطبخ يا (مارتين) ..

ألق نظرة على هذين الرفيقين . لسوف تراهما ثانية أما أنا فلا .. »

دون كلمة أو تعبير على وجهه قسحب (مارتين) ، على حين راح (أوبرايان) يجوب الغرفة ويده في جيبه والأخرى تمسك بالسيفجار ..

- « يجب أن تفهم أنك ستحارب في الظلام .. ستطبع

أوامر لا تعرف جدواها ولا ممن صدرت .. سوف أرسل لك كتاباً يوضح حقيقة المجتمع الذي نعيش فيه وكيف ننوي هدمه .. فمتى قرأته صرت واحداً من (الأخوة) .. سيكون عليك أن ترده لنا خلال أربعة عشرة يوماً .. يمكنني أن أخبرك أن (الأخوة) موجودة لكنك لن تعرف أبداً ما إذا كانت تضم مائة أم مائة مليون .. الاتصال سيكون عن طريق (مارتين) .. وحين يقبض عليك في النهاية سوف تعرف .. لا مفر من هذا .. لكن سيكون هناك القليل جداً مما تعترف به .. لن تستطيع خيانة أكثر من عدد محدود من الرجال الذين لا قيمة لهم . وحتى لو خنتني فلسوف أكون وقتها ميتاً أو شخصاً آخر ذا وجه آخر .. »

كان (ونستون) الآن منبهراً به (أوبرايان) .. حين ترى كنفية العريضتين ووجهه القبيح جداً والرقى جداً برغم هذا ، فإنك تعتقد أن هذا شخص لا يهزم ..

- « إن الأخوة لا يمكن أن تزول لأن أفرادها لا يجتمعون تحت الأرض ، ويتفاهمون بالشفرة .. لا أحد منهم يعرف إلا أقل القليل .. و (جولدشتاين) نفسه لا يعرف من يعمل معه .. لا توجد قائمة بالأسماء .. وهذا سر قوة (الأخوة) لأنها ليست تنظيماً بالمعنى المعروف .. وحين يقبض عليك لن

يساعدكما أحد .. نحن لا نساعد أعضائنا .. نحن موتى في هذا العالم .. حياتنا الوحيدة الحقيقية هي في الغد .. إننا ننشر فكرة .. مجرد فكرة من جيل لآخر برغم أنف شرطة الأفكار .. »

ثم نظر لساعته وقال - (جوليا) :

- « حان وقت الرحيل يا رفيقة .. »

فلما انصرفت ، بدا كأنما نسي وجودها تماماً وقال :

- « ثمة تفاصيل مهمة .. أعقد لن لديك مكالماً للاختباء ؟ »

فحكى له (ونستون) عن غرفة فوق متجر (تشارنجتون) ..

- « هذا يصلح . لكن من المهم أن تغير المكان من حين لآخر . هل لديك لمنلة قبل رحيلك ؟ »

سلا الصمت لبرهة .. ثم سأله (ونستون) دون تفكير :

- « هل سمعت ذات مرة أغنية تقول : (برتقال وليمون) ..

هذا ما تقوله أجراس (سانت كليمنز) . أجراس (سانت

مارتين) تقول : أنت مدين لي بثلاثة أرباع البنس .. »

في جدية استكمل (أوبرايان) الأغنية :

الفصل الخامس عشر

صار (ونستون) جيلانيًا من التعب، وجيلاني هو اللفظ المناسب.. بدا أن جسده لا يحمل فقط رغاوة الجيلي بل وشفافيته أيضًا.. كأن الجلد والدم واللفظ فارقوا يده وتركين العظام والأعصاب..

لقد عمل أكثر من تسعين ساعة في خمسة أيام، وكذا فعل كل من يعمل في الوزارة. والآن انتهى العمل.. يمكنه أن يقضى ست ساعات في مخبئه وتسعًا في فراشه. مشى نحو متجر مستر (تشارنجتون) وهو يحمل الحقيبة الثقيلة ترتطم بركبته، وبها الكتاب الذي لم يقرأه برغم أنه حصل عليه منذ ستة أيام.

بعد ستة أيام من المواقب.. من الخطب.. من الصراخ.. من الرليات.. من المصقات.. من الأعلام.. من بق الطبول ونفخ النفير.. من هدير الدبابة.. من زئير أسراب الطائرات.. بعد ستة أيام من هذا، حينما بلغ المفت لـ (أيوراسيا) حد الجنون.. لدرجة أنه لو أمسك الناس بأسرى (أيوراسيا) الألفين، لمزقوهم إلى قطع صغيرة قبل شنقهم العلني.. هنا فقط أعلن أن (لوشيتيا) ليست في حرب مع (أيوراسيا).. بل هي في حرب مع (إستاسيا).. إن (أيوراسيا) خليف..

« متى ستدفع لي؟ هذا ما تقوله أجراس (بيلي) .. حين أصير ثريًا .. هذا ما تقوله أجراس (شورديتش) .. »
وإذ نهض (ونستون) مد (أوبرايان) يده له..

قبضته القوية هشمت عظام يد (أوبرايان) .. فما إن ابتعد حتى نظر للوراء فأدرك أن (أوبرايان) يطرده الآن من تفكيره.. يمد يده ليفتح التليسكوب، وبعد دقائق سيعود للعمل في مهمته المهمة للحزب..

لم يحس أحد بوجود تغيير .. لقد كانت مظاهرة حقد كبيرة والمشاعر تغلى ، حين وصل من يحمل ورقة صغيرة لممثل الحزب .. فتحها وقرأ ما فيها ثم أعلن أن هذا الحقد كله موجه لـ (أيوراسيا) .. الآن صارت اللافتات كلها خطأ ! لقد تم وضع الوجوه الخطأ على اللافتات .. هذا تخريب متعمد ! إن عملاء (جولنشتاين) هم السبب ! وسرعان ما تمزقت اللافتات وعادت الخطبة . لكن الهدف قد تغير هذه المرة .. وما أثار دهشة (ونستون) هو أن المتحدث غير العدو في منتصف الجملة .. لم يتوقف لحظة أو يعطي تفسيراً ما ..

(أوشياتيا) في حرب مع (إيسناسيا) (أوشياتيا) كانت دوماً في حرب مع (إيسناسيا) .. والآن صار جزء كبير من الكتابات السياسية في الخمس سنوات الماضية بلا جدوى .

لقد صار العمل مرهقاً في الوزارة لأنه من المفترض أن يختفى كل حرف كتب عن الحرب مع (أيوراسيا) .. إنهم يعملون الآن ١٨ ساعة يومياً ، ولطعمهم يقدم لهم في شطرنج في مكان العمل ، مع قهوة توزع على عربات (ترولى) صغيرة .. وراح (ونستون) يعمل كالمدحوم .. ومن حين لآخر يجد كومة هائلة من الأوراق على مكتبه فيعمل بحماسة

كي يجعل مكتبه قابلاً للاستخدام من جديد .. والأسوأ هو أن أحداً لم يجرق على تسمية العملية باسمها الحقيقي ..

بعد انتهاء العمل صار من المستحيل على أي بشري أن يبرهن على أن الحرب ضد (أيوراسيا) وقعت فعلاً . ومنح الرجال إجازة حتى صباح الغد ..

هكذا عاد لداره فاستحم ثم اتجه إلى الغرفة فوق متجر مستر (تشارنجتون) وحقيقته معه . فتحها وأخرج الكتاب ..

كان مجلداً أسود ثقيلاً مجلداً تجليد هواة بلا عنوان على الغلاف .. الصفحات مهترنة من الجواقب ، وتساقطت بسهولة .. أما العنوان على الصفحة الأولى فيقول :

الفصل الثاني

الحرب هي السلام

كان انقسام العالم إلى ثلاث دول عظمى ، أمراً يمكن التنبؤ به منذ منتصف القرن العشرين . خلاصة مع امتصاص روسيا لأوروبا ، وامتصاص الولايات المتحدة لبريطانيا .. هكذا ولدت قوة (إوراسيا) و(أوشيتيا) .. وسرعان ما ولدت (إيستاسيا) .. والحدود بين القوى الثلاث اعتباطية ، وتتأرجح حسب ظروف الحروب . وهذه القوى في حرب دائمة منذ خمس وعشرين سنة .. وإن كانت تمارس فيها فضائل لا تختلف عن الحروب القديمة ، لكن ينظر لهذه الأشياء على أنها طبيعية حين تصدر عن جانبك ، بينما هي فضائل حين يمارسها الجانب الآخر . والحرب في المجتمع المعاصر لا تعنى أكثر من نقص دائم في السلع الاستهلاكية ، أو سقوط قبلة صرخية تسبب بعض الوفيات . إن الحروب المعاصرة لا تحسم شيئاً .. فلا يمكن قهر أى من القوى للعظمى الثلاث حتى لو اجتمعت للقوتان الأخريان عليها . (أوراسيا) تحميها مساحتها الشاسعة ، و(أوشيتيا) بحميها المحيطان الأطلنطي والهادي ، و(إيستاسيا) بحميها فزدهارها للصناعي . ثم إنه لا شيء يمكن أن تقايل من

نظرية وممارسة الحكم الشمولي بواسطة الأقليات

يقدم إيمانويل جولدشتاين

الفصل الأول

الجهل هو القوة

« منذ بداية التاريخ ، وربما منذ العصر الحجري الحديث ، انقسم الناس في العالم إلى ثلاث طبقات : عليا ووسطى ومتدنية . لقد قسموا تقسيمات أخرى كثيرة لكن التركيب الأساسي للمجتمع لم يتبدل قط . حتى بعد الثورات الهائلة والتغيرات الجذرية ظاهرياً ، فقد ظل نفس التركيب يفرض نفسه . كما أن (الجيرو سكوب) مهما تحرك يعود دوماً لياخذ وضع التوازن . »

وتوقف (ونستون) فقط ليستوعب حقيقة أنه يقرأ وحده .. بلا تليسكرين ولا من يتنصت عليه من ثقب الباب . هواء الصيف يداعب خديه .. من بعد يسمع صياح الأطفال في لعبهم . إنها نعمة .. إنه الخلود ..

وكشخص يعرف أنه سيقرا الكتاب مرة ومرة ، فتحه في موضع مختلف .. وجد نفسه عند الفصل الثالث وبدأ يقرأ :

أجله .. إن نظم الاقتصاد الجديدة التي تجعل الاستهلاك والإنتاج يحركان بعضهما ، قد ألغيت غليان الأسواق الذي كان السبب الرئيسي لانتهاة الحروب السابقة . وكل واحدة من القوى العظمى تملك من الموارد ما يكفيها عن طلب موارد خارج حدودها .. لقد صار هدف الحروب الحالي هو الوصول إلى وضع أفضل يتيح لك بدء حرب أخرى .

عامة العالم أكثر بدائية اليوم مما كان قبل عام ١٩١٩ .. لقد تطورت بعض الأجهزة الخاصة بالحرب والشرطة والتجسس .. لكن البحث العلمي قد توقف تقريباً .

كان من الواضح أن تزايد الثروة هو العامل ذاته بالنسبة لمجتمع طبقي Hierarchical Society .. ففي مجتمع يعمل فيه كل فرد عدداً محدوداً من الساعات ، ويملك فيه كل فرد بيتاً بحمام وثلاجة وسيارة .. يخلق هذا مجتمعا تتوزع فيه الثروة بعدل .. لكن القوة يجب أن تظل في أيدي نخبة محدودة مميزة من الأفراد . لكن عند التطبيق لا يمكن أن يبقى هذا المجتمع مستقرًا .. لأن الغالبية الفقيرة مستعظم كيف تعبر عن نفسها .. هكذا نجد أن المجتمع الطبقي ممكن فقط على أساس الجهل والفقر . لقد تمت تجربة هذا الحل في القرن العشرين في الأعوام ١٩٢٠ - ١٩٤٠ . تم وقف

النمو الاقتصادي .. تركت الأراضي غير مزروعة .. حرم كثيرون من العمل . والهدف تقليل الوضع الاقتصادي للأكثرية ، لكن هذا بدوره أضعف القوى المسلحة ، ولاقى اعتراضات كثيرة . كانت المشكلة هي كيف تبقى عجلة الصناعة دائمة دون أن تزيد من ثروة الناس . يجب إنتاج البضائع بكثرة ، لكن يجب عدم توزيعها . لا يوجد حل عملي لهذا سوى الدخول في حروب مستمرة .

إن الحرب لا تعني بالضرورة خسارة الأرواح .. إن الغرض الأهم للحرب هو تدمير أو حرق أو تفتيت مواد يمكن في ظروف أخرى أن تزيد من رفاهية الفرد . عجلة الصناعة الحربية تدور لكنها لا تفيد أحداً .. بل من المفيد كذلك أن تبقى حتى النخبة المميزة في وضع أقرب إلى العوز .. وبمقاييس بدايات القرن العشرين فإنه حتى دوائر الحزب الداخلية تعيش حياة شاقة .

الحرب تحقق التدمير المطلوب .. لكنها تحققه بشكل فلسفي مقبول .. من الممكن أن تحقق الغرض ذاته لو حفرنا حفراً ثم رجمتها ، أو أنتجت بضائع وأحرقناها .. لكن هذا يحقق فقط الجانب الاقتصادي من المعادلة ولا يحقق الأساس المعنوي للمجتمع الطبقي ..

وبالنسبة لدوائر الحزب الداخلية ، فإن أفرادها قد يعرفون أن الحرب ظالمة ، وقد يعرفون أنها خدعة . لكنهم في الآن نفسه يؤمنون بأنها مهمة ، وأن (أوشيتيا) ستتصير فيها يوماً .. هذه هي مزايا (التفكير المزبوج) . يعتقدون أن الحرب ستحسم لصالح (أوشيتيا) يوماً عن طريق إتجاز خير متوقع أو اكتشاف سلاح جديد .

لهذا يظل البحث عن سلاح جديد هو نوع التفكير الابتكاري الخلاق الوحيد المسموح به .. وفي (اللغة الجديدة) لا توجد كلمة مثل (علم) .. إن العالم يتراجع في كل ما هو مفيد خاصة الفنون .. إن الأرض تحترق بالمحاربت التي تجرها الخيول بينما الكتب تكتبها الآلات .. إن الحزب لا يريد إلا شينين : أن يكتسح الأرض كلها ، وأن ينفى أية احتمالية للتفكير المستقل ، لهذا أمام الحزب مشكلتان : معرفة ما يفكر فيه الناس ، والقدرة على قتل مئات الملايين في ثوان دون إعطاء إنذار .

إن عالم اليوم هو مزيج من عالم نفسي ومحقق .. يدرس بدقة معنى تعبيرات الوجوه وطبقات الصوت والإشارات وأثر عقاقير الحقيقة والتعذيب . أو هو كيميائي أو فيزيائي لا يهتم إلا بطريقة سلب حياة الآخرين . إنهم في أحراش

البرازيل وأماكن نائية أخرى يبحثون في القنابل النووية والأسلحة البيولوجية ، واحتمالات أبعد مثل صنع عدسات تركز أشعة الشمس على بعد آلاف الكيلومترات في الفضاء الخارجي ، أو لخلق موجات تصادم في باطن الأرض تولد الزلازل .. إن القوى العظمى كلها تملك القنابل الذرية وقد ألفت الكثير منها ، لكن ثمة اتفاق على عدم استخدامها لأن هذا معناه نهاية المجتمع الذي نعرفه ، وتظل الحروب تتم بشكل تقليدي . وبرغم ما يقال فإن الحرب لم تبلغ قط مكاتة الحروب القديمة حين كان الملايين يبادون . إن القوى الثلاث تعمل على استراتيجية واحدة تجمع بين القتل والمساومة والخيانة في الوقت المناسب ، للحصول على قواعد تحاصر مدينة أو أخرى من مدن الخصوم . ثم توقع اتفاقية صداقة مع هذا الخصم وتترك الأعوام تمر حتى تنام الشكوك . ثم تطلق كل قبلها الصاروخية على هذا الخصم مرة واحدة .. هذه الخطة بالطبع أحلام يقظة .. فلم يتم غزو أية أرض للدعو من قبل .

هنا تبرز حقيقة أخرى لم تقل علانية لكنها مفهومة ، هي أن الحياة في الدول الثلاث المتباحرة متماثلة تماماً .. في (أوشيتيا) الفلسفة المسيطرة تدعى (إنجسوك Ingsook) ..

في أوروبا تدعى (البلشفية الجديدة) .. وفي (إيسناسيا)
تحمل اسمًا صينيًا معناه (عبادة الموت) .. وكل موطن في
(أوشتانيا) لا يعرف حرفًا عن فلسفات الدول الأخرى ، لكنه
يتعلم أن يزدريها باعتبارها أفكارًا بربرية .

لقد تغير مفهوم الحرب عن الماضي .. إن الحروب في
الماضي كانت تنتهي دائمًا ، وكانت تقود الشعوب إلى الحقيقة ..
فمهما قال الحاكم إن ($2 + 2 = 5$) فإليك لا تستطيع
تصميم طائرة أو بندقية ما لم تكن ($2 + 2 = 4$) .. وكنت
أحتاج إلى معرفة التاريخ أكثر وفهم كيف وصلت الأمور إلى هذا
الوضع .. لكن منذ صارت الحرب مستمرة كفت عن أن
تكون خطرة .. لا داعي لمعرفة الحقائق ، ولا داعي للكفاءة
حتى العسكرية منها .. إن الحرب إن مجرد ادعاء .. كقتال بين
حيوانات مجتررة قرونها في وضع لا يسمح لها بأن تتصلب
أو تحدث ضررًا . لكن برغم أنها غير حقيقية فهي ذات
معنى .. إنها تلتهم السلع وتدمر المناخ العقلي الذي يتطلبه
المجتمع الطبقي .. هكذا كفت الحرب عن أن تحتفظ بمعناها
القديم ، وهذا هو ما يهنيه الحزب بمقولته : الحرب هي
السلام ..

وتوقف (ونستون) عن القراءة إذ سمع انفجار قبلة
صاروخية من بعيد .. لقد فتنه الكتاب برغم أنه لم يقل
له شيئًا لم يكن يعرفه من قبل .. لكن هذا سره .. على
الأقل هو قد كتب ما كان سيكتبه لو أنه استطاع أن ينظم
الأفكار المحتشدة في ذهنه على شكل كلمات .. إن
أفضل الكتب - كما فهم الأمر - هي التي تخبرك بأشياء
تعرفها .. فقط هي تخرج من عقول أكثر ترتيبًا وطلاقة في
التعبير .

هنا سمع صوت خطوات (جوليا) قادمة ولم يكن قد
قابلها منذ أسبوع .. قال لها :

« لقد حصلت على الكتاب ؟ »

« حقا ؟ »

قالتها دون اهتمام ..

فتح الفصل الأول وراح يواصل ما كان قد بدأه من قبل ،
ولكن بصوت مسموع هذه المرة :

« هناك ثلاث طرق يمكن بها لطبقة حاكمة أن تسقط .. إما أن تسقط من الخارج ، أو تحكم حكما ظالما يجعل المجاميع تنثور عليها ، فتسمح لطبقة وسطى قوية أن تصل للحكم ، أو هي تسقط لأنها فقدت الثقة بنفسها ولم تعد ترغب في الحكم . هذه العوامل لا تعمل منفصلة ، والطبقة الحاكمة التي تسيطر عليها جميعا تبقى في الحكم للأبد ..

الخطر الأول لا وجود له لأن القوى الثلاث متساوية .. الخطر الثاني نظري ، لأن المجاميع لا تنثور من تلقاء نفسها مهما كانت مكبوتة .. لو لم تعطهم ما يقارنون به مستويات حياتهم فإنهم لن يعرفوا أبدا أنهم مقموعون . هكذا يظل الخطر الأساسي هو ظهور طبقة وسطى متعطشة إلى السلطة .. بالتالي نستطيع فهم تركيب (أوشياتيا) الاجتماعي .. على قمة الهرم يوجد (الأخ الأكبر) الذي لا يخطئ .. كل نجاح .. كل نصر علمي .. كل اكتشاف هو بفضل .. لم يره أحد قط .. إنه وجه لا أكثر .. إنه القناع الذي يبدو به الحزب بالنسبة للجماهير ؛ لهذا لا يمكن أن يموت ..

تحت الأخ الأكبر تجد دائرة الحزب الداخلية .. وتعداد أفرادها لا يتجاوز ٢ ٪ من تعداد (أوشياتيا) .. بعد هذا تأتي الدائرة الخارجية التي - لو شبهنا الدائرة الداخلية بالعقل - تمثل الأيدي .. ثم تأتي المجاميع الضخمة مما نستخدم على تسميته بـ (البروليتاريا) ..

إنهم يشكلون ٨٥ ٪ من التعداد ، وهم الطبقة الدنيا في التركيب الاجتماعي ..

لكن مكنتك في الحزب ليست وراثية .. ولبن رجل الدائرة الداخلية قد يكون في أي موضع من تركيب الاجتماعي .. هناك في الدائرة الداخلية يهود وزنوج وهنود من أمريكا الجنوبية .. لا توجد مركزية .. لا عاصمة .. لا شيء يربط أعضاء الحزب إلا العقيدة . يتعلم أعضاء الحزب أنهم مراقبون في أية لحظة وأى مكان .. ويتعلمون أن ما يستحق العقاب ليس الجريمة بل التفكير فيها .. لا توجد جرائم في (أوشياتيا) وما تقوم به شرطة الأفكار هو معاقبة من يمكن أن يرتكبوا جرائم يوما ما .. عليك أن تتحكم لافي أفكارك بل في غرائزك الفطرية أيضا .. والأطفال يتلقون تعليما اسمه (وقف الجريمة) يجعلهم يكفون عن التفكير بمجرد أن تخطر لهم أفكار تسيء للحزب .. هذا نوع من الغباء الواقعي .. لكن الغباء وحده لا يكفي .. هناك كلمة اسمها (أسوبيض) .. وهو ككل كلمات اللغة الجديدة ذات معنيين .. مع المعارضين للحزب يكون معناها قدرتك على تحويل الأسود إلى أبيض لتزييف الحقائق . ومع أعضاء الأحزاب معناها قبولك للاعتراف بأن الأسود أبيض ، وإنك لم تعتقد قط بالعكس .. هذا هو التفكير المزدوج كما تسميه اللغة الجديدة ، وكما كان يسمى في السابق (التحكم في الحقيقة) ..

لن تذكر أكاذيب عامدة وفي الآن ذاته تؤمن بها ..

فقط بالتفكير المزدوج استطاع الحزب أن يسيطر ، وبه
سوف يسيطر آلاف السنين القادمة .

لم يكن قد عرف السر بعد .. لقد فهم (كيف) لكنه لم يفهم
(لماذا) .. فقط نظمت له الكلمات ما كان يعرفه بالفعل . على
الأقل فهم أنه ليس مخبولاً .. كونك الوحيد لا يعني أنك مخبول .

وسأل (جوليا) :

- « هل تذكرين الطائر الذي كان يبقى لنا يوم لقائنا الأول ؟ »

- « لم يكن يبقى لنا .. بل كان يبقى ليسعد نفسه ..
ولا حتى هذا .. كان يبقى لحسب .. »

الطيور تبقى .. البروليتاريا تبقى .. الحزب لا يبقى .. أنت
الميت وهم الأحياء .. لكنك تستطيع أن تشرك البروليتاريا الغد
لو أبقيت مخك حياً .. هم يقولون لجسدهم حياة وأنت تبقى مخك ..

قال لها :

- « نحن الموتى .. »

- « أنتما الميتان !! »

كان هذا هو الصوت المعدنى الذى جاء من خلفهما ..

وثبا متباعدين . وشعر (ونستون) بأن أحشاءه تحولت
إلى جليد .. كان يرى البياض حول حدقتى عين (جوليا)
وقد استحال وجهها لبيض ..

- « أنتما الميتان ! »

شهقت (جوليا) :

- « لقد جاء من وراء تلك الصورة .. »

وجاء الصوت المعدنى :

- « ابقيا حيث أنتما ولا تتحركا ما لم تؤمرا
بذلك .. »

لقد بدأ .. لقد بدأ أخيراً ! ليس بوسعهما عمل شيء
إلا تبادل النظرات .. لم يجلبذهذهما أن يفرا أو يغادرا
المنزل قبل فوات الأوان .. دوى صوت كأنما قفل يزاح مع
صوت زجاج يتهشم ، وسقطت الصورة التى على الجدار
لتظهر خلفها (تليسكرين) .

- « قفا في وسط الغرفة .. ظهرًا لظهر .. ضعوا الأيدي
فوق الرأس .. لا يلمس أحدهما الآخر .. »

كان بوسعهم أن يمنع أسنانه من الاصطكاك لكن ركبتيه
كأنهما تتصرفان وحدهما ..

جاء صوت أحذية ، وبدا كأنها الفناء امتلأ بالرجال ..
هناك ما يجرونه فوق الصخر ..

قال (ونستون) :

- « البيت محاصر .. »

قال الصوت :

- « للبيت محاصر .. »

قالت (جوليا) :

- « اعتقد أن علينا تبادل عبارات الوداع .. »

قال الصوت :

- « عليكم تبادل عبارات الوداع .. »

هنا جاء صوت شيء يتهشم خلف ظهر (ونستون) .. لقد
ادخل طرف سلم من النافذة .. كان هناك من يتسلق داخل
للغرفة ، ودوى صوت أحذية تصعد في الدرج . امتلأت الغرفة
برجال صلبى المراس فى ثياب سوداء وأحذية ذلت نعال
معدنية .. وهراوات فى أيديهم ..

وقرر (ونستون) ألا يتحرك فلا يعطيهم الفرصة ليتدعوا
ضربه .. لكنه تلقى ركلة فى كاحله كادت تسقطه أرضا ..
أحد الرجال لكم (جوليا) فى فم معدنها فسقطت على
الأرض تكافح طلباً للهواء .. لم يجسر (ونستون) على
النظر للوراء ، لكنه كان يرى بشكل ما وجهها الأحمر فى
مجال نظره . وشعر بأنه يتألم مثلها تماماً .. تفوق الألم
الرغبة العاجلة فى التنفس من جديد .

ثم إن رجلين حملاها من ركبتيها وكتفيها خارج الغرفة
كأنها كيس .. رأى (ونستون) وجهها المقلوب وأحمر الخدين
ما زال على وجنتيها .. وكانت هذه آخر مرة يراها فيها ..

وقف ينتظر .. فلم يضربه أحد بعد .. أفكار غريبة كانت
تضطرب فى ذهنه .. مثل ماذا حدث للمستتر (تشارنجتون) ؟
إنه يريد التبول .. هذا غريب . لقد فعلها مرة واحدة منذ
ثلاث ساعات .

ثمة خطوة أخف على الدرج .. ودخل مستر (تشارنجتون)
الغرفة ..

فجأة تغير سلوك الرجل . لقد أشار إلى الأرض إلى قطع
زجاج مهشمة وقال لأحد الرجال :

- « لجمع هذه الشظايا الآن . »

الفصل السادس عشر

لم يدرك أين هو .. محتمل أنه في وزارة الحب لكن لا سبيل للاستيثاق . كان في زنزقة عالية السقف بلا نوافذ . مصابيح مخفية تغرقها في ضوء بارد . وصوت همهمة يبدو أن لها علاقة بتهوية الهواء . هناك دكة يمكن الجلوس عليها ، تدور على محيط الغرفة ، وفي الركن مرحاض دون قاعدة خشبية ، وحوله أربع شائكات تليسكوبية .

في بطنه جوع أليم مؤذ ، فقد مرت عليه نحو أربع وعشرين ساعة دون لقمة واحدة ، وهو لا يعرف إن كان الوقت ليلاً أم نهاراً . جلس ساكناً وكان قد تعلم كيف يجيد ذلك ، لأنك لو تحركت لصرخوا فيك عبر التليسكوبين . كان جائعاً بشدة ، وتذكر أن جيب الأوفرول الذي يلبسه ربما يحوى بعض قطع الخبز .. كان متأكداً من هذا ، لذا مد يده في حذر إلى هناك .

صاح صوت من التليسكوبين :

« ٦٠٧٩ .. (سميت و .) ! .. أخرج يدك من جيبتك في الزنزقة ! »
عاد ليجلس ساكناً ..

فاتحنى رجل مطيعاً الأمر . لقد تلاشت لهجة الكوكني Cockney العامية من كلام (تشارنجتون) .. هنا تذكر (ونستون) أنه سمع هذا الصوت بالذات منذ دقائق على التليسكوبين . كان الرجل يلبس ثيابه ذاتها لكن شعره الأشيب صار أبيض . كما أنه لم يكن يلبس عوينته . لم يعد ذات الشخص .. لقد استقامت قامته فبدأ أضخم .. حاجباه صارا أقل كثافة والتجاعيد تلاشت . حتى الأنف صار أقصر . صار وجهه وجه رجل يقظ في الخامسة والثلاثين .

وللمرة الأولى أدرك (ونستون) أنه ينظر إلى واحد من (شرطة الأفكار) .

قبل أن يحضروه هنا ، وضموه في مكان لا يد أنه سجن عادي .. كان في زنزاة قنرة بها نحو خمسة عشر رجلاً ، لا بد أنهم من المجرمين العاديين ، لكن بعضهم كانوا مساجين سياسيين . وقد لاحظ الفارق الكبير بين سجناء الحزب والآخرين .. سجناء الحزب كانوا صموتين خائفين ، لكن المجرمين العاديين لم يعبئوا بأحد . كانوا يسيرون الحراس ويقاتلون من أجل ممتلكاتهم ، ويكتبون بذات على الأرض ، ويلبسون طعاماً مهرباً أخفوه في أماكن خفية من ثيابهم .

من ناحية أخرى كان بعضهم على علاقة طيبة بالحراس ، وينادونهم بأسماء تدليل ، ويعطونهم لفافات التبغ عبر فتحة الباب . إن هذه السجون تمنح الفضل وضع للمجرمين العاديين وخاصة رجال العصابات والقتلة . هؤلاء كانوا يشكلون الطبقة الأرستقراطية في السجن . أما الأعمال القذرة فيقوم بها السجناء السياسيون .

وطيلة الوقت كان هناك طوفان لا ينتهي من المجرمين الجدد : مهربى مخدرات .. تجار سوق سوداء .. لصوص .. وكان هؤلاء جميعاً يتجاهلون السجناء السياسيين تماماً .. كانوا يطلقون عليهم (سياسة) في نوع من الاحتقار اللامبالي

كان السياسيون يخشون الكلام مع أحد ، وخاصة بين بعضهم .. إلا أنه ذات مرة سمع امرأتين تجلسان متلاصقتين وتكلمان عن شيء يدعى الغرفة (واحد .. صفر .. واحد) .. ولم يفهم معنى هذا ..

الآن هو هنا منذ ساعتين ، والجوع يشتد به .. فإذا ازداد جداً لم يعد يفكر إلا في الطعام ، فإذا قل الأكل راح يفكر في الرعب . كان يرى بوضوح تمام ما سيحدث له .. يشعر بالأحذية ذات الكعوب الحديدية تهشم وجهه .. وهو يزحف على الأرض طالباً الرحمة .

لم يفكر قط في (جوليا) .. كان يفكر في (أوبرايان) .. إن الأخوة لا تحاول أبداً إنقاذ رجالها ، لكن هناك الأمل في أن يرسلوا له موسى .. سيتم الأمر خلال خمس ثوان قبل قدوم الحارس . لكنه كان يعرف أنه لن يستعملها لو أتاحت له .. الطبيعي أكثر أن تعيش حياتك عشر دقائق بعشر .. حتى لو كان التعذيب هو النهاية المحتومة .

راح يتساءل عن الوقت الآن . في دقيقة معينة يعتقد أن الشمس ساطعة بالخارج ، وفي دقيقة أخرى يشعر بأن الظلام دامس . هذا هو المكان الذي لا تطفأ فيه الأضواء .. « المكان الذي لا ظلام فيه » كما قال (أوبرايان) ..

في وزارة الحب لا توجد نوافذ .. قد تكون زنازته مركز
المبنى وقد تكون على أطرافها .. قد تكون على عمق
ثلاثين طابقاً تحت الأرض أو ثلاثين فوقها .

سمع صوت حذاء ثقيل يمشى بالخارج . تفتح الباب
المعنى محدثاً صوتاً (كلاج) . وظهر ضابط شغب في ملابس
غير رسمية ، بدا كأنه يتألق بالكامل من كثرة الجلد اللامع
الذي يرتديه . وجهه عديم التعبير يبدو كقناع شمعي ..

دخل من الباب وأشار للحراس كي يجلبوا السجناء الذي
معه ..

فمشى الشاعر (أمبلفورت) إلى داخل زنزقة مثقلاً ..
واتفلق الباب ..

راح الشاعر يذرع الزنازاة جينة وذهاباً ولم يلاحظ
(ونستون) بعد .. كانت عيناه ترمقان السقف على ارتفاع متر
من رأس (ونستون) .. أصابع قدميه الفذرة الضخمة تطل
من فتحات جوربيه .. كما أنه لم يخلق ذقنه منذ أيام عدة ..

قرر (ونستون) أن يجازف ويكلم (أمبلفورت) .. ربما
يكون هو الرجل الذي يحمل له الموسيقى .. سيجازف برغم
ما ستحتج به التليسكرين .. قال له :

- « (أمبلفورت) .. »

نظر له الرجل هنيهة ، ثم قال :

- « آه .. (سميت) . أنت أيضاً ؟ »

- « لم أنت هنا ؟ »

جلس على الدكة مرتبكاً وقال :

- « للحقيقة .. ليست هناك سوى تهمة واحدة .. ليس
كذلك ؟ »

- « وأنت ارتكبتها ؟ »

- « يبدو ذلك ؟ »

وضغط بكفيه على صدغيه كلما يحاول تذكر شيء ما ولربما :

- « هذه الأمور تحدث .. لتذكر حادثة واحدة ، حادثة
محتملة .. كنا نغرق قصائد (كبلنج Kipling) .. فتركت لفظة God
في نهاية بيت شعر .. كتبت قافية الأبيات هي Rod فلم أستطع
للتعبير .. هل تعرف أنه ليس هناك إلا اثنتا عشرة كلمة
بهذه القافية في الإنجليزية كلها ؟ هل تتصور أن تاريخ
الشعر الإنجليزي حده افتقار اللغة الإنجليزية للقوافي ؟ »

لم يعرف (ونستون) هذه المعلومة .. ولم تبد له مهمة ..
لذا سأل الرجل :

« هل تعرف كم الساعة الآن ؟ »

بدت الدهشة على (أمبلفورت) ، وقال :

« لم أفكر في هذا .. لقد قبضوا على .. ربما منذ يومين
لو ثلاثة .. لا أرى فرقاً بين النهار والمساء في هذا المكان ..
لا أعرف كيف يمكنك معرفة الوقت ؟ »

هنا دوت صرخة من التليسكوبين تطلب منهما الصمت ..

علا يجلسان .. وكان حجم الشاعر الكبير مما يعرفه عن
الجلوس على النكة مستريحاً ، ومن الخارج جاء صوت قنمين
تترعان الممر .. فتقلصت أحشاء (ونستون) .. حالاً تتوَلَف
الخطوات ومعنى هذا أن يأتي دوره ..

دخل الضابط الشاب ، ويثارة من يده إلى (أمبلفورت) قال :

« غرفة ١٠١ .. »

نهض الشاعر ليمشي في خرق بين الحراس .. بوجه
مشوش حائر ..

مر ما بدا له كدهر .. وتزداد الأكم في معدة (ونستون) ..
كانت تتنازعه خواطر ست .. ألم معدته .. قطعة خبز .. الدم
والصراخ . (أوبرايان) .. (جوليا) ، حد الموسى .

تفتح الباب من جديد فدخل هواء يحمل رائحة العرق البارد ..
كان للقائم هو (بارسونز) جاره يلبس ثياباً خاكية وسروالاً
قصيراً ، أصاب الذهول (ونستون) لدرجة أنه نسي نفسه :

« أنت هنا ؟ »

نظر له (بارسونز) نظرة خالية من الدهشة أو الدهول ..
فقط للتعلية .. بدأ يجوب المكان عاجزاً عن البقاء ساكناً كما
هو واضح . في عينية نظرة محمقة كأنما لا يستطيع كف
نفسه عن النظر إلى شيء على مسافة قصية .

قال (ونستون) :

« ماذا تفعل هنا ؟ »

« جريمة تفكير ! »

قالها (بارسونز) وفي صوته قبول تام لجرمه .. ورعب
مضحك من أن كلمة كهذه تنطبق عليه ، وبدأ يلح على
(ونستون) :

« أنت لا تعتقد أنهم سيطلقون الرصاص على يافتي ؟ لن
يقتلوك ولنت تقترف شيئاً .. مجرد أفكر ؟ أعرف أنهم يصنعون لك
جيداً .. أنا أثق بهم في هذا .. ستعرفون تاريخي .. لم أكن

شاباً سيناً على طريقي .. لست ذكياً لكني مخلص .. فعلت ما بوسعي من أجل الحزب .. سأخرج من السجن بعد خمسة أعوام .. شاب مثلي سيكون مفيداً في معسكر العمل .. لن يقتلوني لخروجي مرة عن النهج ..

سأله (وتمتتون) :

« هل أنت مذنب فعلاً ؟ »

« بالطبع مذنب ! لا تحسب أن الحزب يمكن أن يعقل رجلاً بريئاً . إن جريمة التفكير خطرة بآرجل .. يمكنها أن تستولي عليك وأنت لا تعرف .. هل تعرف كيف أصابتي ؟ وأنا نائم ! كنت أعمل ولم أكن أعرف بالأشياء السيئة في ذهني طيلة الوقت .. هكذا بدأت أتكلم في أثناء النوم .. هل تعرف ما كنت أقول ؟ »

وانخفض صوته كأنما هو شخص مضطر للاعتراف بأمر مشين للطبيب :

« ليسقط الأخ الأكبر .. نعم فكنتها مراراً .. تصور هذا ! وبينى وبينك أنا سعيد لأنهم قبضوا على قبل أن تموء الأمور .. هل تعرف ما سأقول لهم ؟ سأقول : أشكركم على إنقاذي قبل قوات الأولين .. »

« ومن كشف أمرك ؟ »

« ابنتي الصغرى .. » - قالها بنوع من الفخر الحزين - « كانت تنصت على من ثقب الباب .. وأبلغت الشرطة في اليوم التالي .. نكأ جم من ابنة السابعة ، وأنا لا أصدق عليها .. هذا يعني أنها ربيت جيداً .. »

وداح ينظر إلى المرحاض ، ثم إنه فتح سرواله :

« سامحني يا زميل .. فقط لا أستطيع الانتظار .. »

وجلس على المرحاض بينما غطي (وتمتتون) وجهه ، بينما استعمل هذا الأول المرحاض بوفرة وتحري تامين .. واتضح بعد هذا أن السيفون لا يعمل .. هكذا ظلت راحة الزنزاة لا تطلق لساعات طوال .

ثم إخلاء (بارسونز) فيما بعد .. جاء مساجين كثيرون .. ورحلوا .

الآن صر معه ستة أشخاص رجالاً ونساء .. أمامه جلس رجل بلانقن كأحد القوارض ، وقد راحت عيناه تفحصان الموجودين ذات اليمين واليسار ، ثم تتواريان إذا قابلتا عيناً أخرى .

دخل رجل آخر لثأر مرآة لرعب لدى (ونستون) ، فوجهه هزيل كالجمجمة .. وهكذا بدت العينان والفم كبيرتي الحجم فيهما مقت قاتل لشخص ما أو شيء ما .. جلس الرجل على الدكة فلم ينظر إليه (ونستون) ثانية ، لكن وجه الرجل ظل ماثلاً أمامه طيلة الوقت . وهنا أدرك الحقيقة التي فهمها كل واحد في الزنزانة : إن الرجل يموت من الجوع ، نهض الرجل لذى لا نطق له ، واتجه إلى ركن الزنزانة وراح يبحث في جيبه ، ثم أخرج قطعة من الخبز وقدمها للرجل ذي وجه الجمجمة .

جاء صوت يصم الأذان من التليسكوبين ، وسرعان ما تراجع الرجل ، ووضع الرجل ذو رأس الجمجمة يديه وراء ظهره ، كأنما يظهر بوضوح أنه رفض الهدية .

- « (بومشيد) !! رقم 13/27 ! لقي بقطعة الخبز هذه !! »

التقى الرجل الذي لا نطق له بالخبز على الأرض تفتح الباب ودخل الضابط الشاب ، وخلفه ظهر حارس قصير القامة له ذراعان وكتفان هائلان .. وقف أمام الرجل عديم النطق ، ثم بإشارة من الضابط وجه لكمة شنيعة للرجل في فمه ، طار الرجل ليستقر فوق المرحاض والدم ينزف من فمه ، نهض

متحاملًا على نفسه فسقطت أسنانه ، وجلس وسط الرجال الآخرين وقد بدا عليه القنط لكثر مما كان .. وراح يحيل عينيه من حوله كلما يرى إلى أي مدى احتقره الناس بعد هذا الضرب المهين .

اتفتح الباب وقال الحارس للرجل ذي وجه الجمجمة :

- « غرفة 101 .. »

تعللت شهقات ، وكان الرجل بالفعل قد نهض وهتف :

- « أيها الرفيق ! أيها الضابط ! لا يجب عليك أن تأخذني هناك . ألم أقل كل شيء بعد ؟ ماذا تريدون معرفته غير هذا ؟ قولوا لي ما تريدون أن أعترف به وسأعترف .. سأوقع على ما تريدون ! لكن ليست غرفة 101 ! »

- « غرفة 101 .. »

استحال وجه الرجل لونا لم يحسبه (ونستون) ممكنًا من قبل .. إنه الأخضر بالفعل ..

- « ليس هناك من شيء لن أفعله .. سأسلم لكم أي شخص تريدون .. إن لدى زوجتي وثلاث بنات أكبرهن في السلسلة من العمر .. خذوهن واقتلوهن أمامي لو أردتم .. لكن ليس للغرفة 101 !! »

ثم نظر حوله وأشار إلى الرجل الذي لا نقن له وصاح :

« هذا هو من تريدون ! إنه عدو للحزب الحقيقي .. أنتم لم تسمعوا ما قال حين هشمتم وجهه .. لقد تعطلت التليسكوبين وقتها ، لكنه شتم الحزب ! »

كف الحارسان عن الإمساك به فجرى عبر الغرفة ليمسك بأحدى القوائم المعدنية للدكة ، تشبث بها وراح يعوى كحيوان ، جره الحراس ، لكنه تشبث بقوة مخيفة ، ولمدة عشرين ثانية ظلاً بجذباته ..

فجأة توقف العواء ، إذ لم يعد لدى الرجل من النفس ما يكفي إلا للتشبث .. هنا هشم حذاء الحارس أصابعه وجروه ليقف على قدميه .

« غرفة 101 .. »

وتم إخراج الرجل وهو يمشى دون تترن وقد عاص رأسه .. وخرج كل القتال معه .

ومر وقت طويل .. لو كانوا أخذوا الرجل ذا رأس الجمجمة في منتصف الليل فهذا هو الصباح .. ولو كان الوقت صباحاً فهذا هو العصر وكانت قطعة الخبز على الأرض حيث هي وقد احتاج لقوة إرادة كي لا ينظر لها ، لكن الآن تغلب الظمأ على الجوع ، إن فمه جاف كريحه الراححة ..

راح ينهض ويجلس لأن ألم الجلوس الطويل كان لا يطاق . وراح يفكر في (أوبرايان) حالماً بالموسى الحادة .. وأحياناً كان يفكر في (جوليا) .. هي في مكان ما تعلى ربما أكثر منه . ربما تصرخ ألماً الآن .

وقال لنفسه : لو استطعت أن ألقها بأن يضاعفوا تعذيبى ، فهل أقبل ؟ نعم أقبل .

كانت الأحنية تقرب الآن .. فتفتح الباب وبخل (أوبرايان) .. نظر (ونستون) إلى قدميه .. إن صدمة المفاجأة أذهبت عنه كل حذر . ولأول مرة منذ أعوام نسى التليسكوبين .

« هل ظفروا بك أيضاً ؟ »

قال (أوبرايان) في تهكم شبه نادم :

« لقد ظفروا به منذ زمن بعيد .. »

ومن خلفه ظهر حارس عريض الصدر يحمل هراوة سوداء طويلة في يده .

« أنت تعرف يا (ونستون) فلا تخدع نفسك .. من زمن بعيد أنت تعرف .. »

الفصل السابع عشر

كان يرقد على شيء كأنه فراش معسكر .. فيما عدا أنه كان
عائياً عن الأرض ومثباً لها بحيث لا يمكن تحريكه ..

كان ضوء أقوى من المعتاد يهبط على وجهه .. وكان
(أوبرايان) يقف إلى جانبه ينظر له باهتمام .. وفي الناحية
الأخرى كان رجل يلبس معطفاً أبيض ويحمل محقناً للحقن
تحت الجلد ..

كم من الوقت بقى هنا ؟ لا يعرف .. منذ قبضوا عليه لم
ير ضوء النهار ولا للظلام ..

منذ تلقى أول ضربة على كوعه بدأ الكابوس .. فيما بعد فهم
أن هذا لم يكن إلا استجولاً مبدئياً وروتينياً يتعرض له كل سجين ..
وكن الاعتراف في النهاية شكلياً ، لكن التعذيب كان حقيقياً .. كم
مرة ضرب فيها ، وكم من الوقت طال الضرب ؟ لا يستطيع أن
يتذكر .. كان هنالك دوماً خمسة أو ستة رجال يضربونه ..
بالقبضات أحياناً بالهراوات أحياناً بالعصى أو بالأحذية .

أحياناً كان الضرب مستمر حتى يشعر بأن الشيء القاسي
المربع ليس الحرام ، ولكنه عجز عن أن يفقد وعيه ..
أحياناً كانت أعصابه تخونه فيصرخ قبل الضرب طالباً للرحمة ..
أحياناً يعترف بلا تحفظ بأي شيء ، وأحياناً يقول لنفسه :

نعم .. لقد رأى ذلك .. كان يعرف من البداية .. لكنه لم
يكن يملك وقتاً للتفكير .. كل ما كان يفكر فيه هو الهراوة في
يد الحارس ، والتي قد تهوى في أي مكان .. على حكمة
أنه .. أعلى نراعه .. كوعه ..

كوعه ! وهوى على الأرض وقد شله الأكم ، يمسك بكوعه
المضروب ..

كل شيء صار لونه سافراً ساطعاً .. من غير المفهوم أن
ضربة واحدة تحدث كل هذا الأكم ! راح الضوء الساطع
فاستطاع أن يرى الاثنين . من المستحيل أبداً أن تتحمل
زيادة الأكم .. شيء واحد فقط تتمناه مع الأكم . أن يتوقف ..
في وجه الأكم لا يوجد أبطال .. لا أبطال .. لا أبطال ..

فكر في هذا وهو يتلوى على الأرض ممسكاً بذراعه
اليسرى التي صارت عديمة النفع ..

سأصمت حتى يصير الألم لا يطاق .. ربما بعد ركنتين وضربة بالهراوة أنكلم .. لكن ليس الآن ..

كنت هناك فترات للإفاقة لا يذكرها جيداً لأنها كانت تضيق بين النوم والغيوبة . يذكر وجبات من الصاء الساخن والخبز وربما للقهوة .. يذكر رجالاً جالين غير متعاطفين في معاطف بيضاء يقيسون نبضه ويمررون أصابعهم على جسده للتأكد من عدم وجود كسور ، ثم يحقنونه بمخدر ..

بدأت فترات الضرب تقل .. ولم يعد مستجوبوه رجالاً في ثياب سوداء ، لكنهم صاروا أعضاء في الحزب .. رجالاً أقصر القامة سريعي الحركات لامعي العوينات . وكاتوا لا يعذبونه تعذيباً عنيفاً فيما عدا شد شعره أو صفعه أو منعه من التبول والهدف كان تحطيم قدرته على الجدل .. لكن التعذيب الحقيقي كان أسلحتهم السريعة المتلاحقة التي يكررونها طيلة الوقت . لحصاره وإرباكه .. وفي كل مرة يظهرون كذبه ومتناقضة نفسه حتى لينفجر في البكاء من فرط الإرهاق العصبي ..

لقد نجحت هذه الاستجابات في هزيمته كما لم تستطع الهراوات والأحذية ، وفي النهاية تحول إلى فم يتكلم ويد توقع .. كان يهمه أولاً أن يعرف ما يريدون الاعتراف به قبل أن يعترف ..

اعترف باغتيال أعضاء مهمين في الحزب ، واختلاس أموال عامة ، وتوزيع منشورات تحريضية ، وسرقة أسرار عسكرية .. اعترف بأنه منحرف ومعجب بالرأسمالية .. اعترف بأنه قتل زوجته برغم أنه وهم يعرفون أنها حية .. اعترف بأنه عضو في تنظيم تحت الأرض يضم كل شخص حتى يعرفه ..

طيلة الاستجواب - برغم أنه لم يره - كان يشعر بأن (أوبراين) بقره .. كان (أوبراين) هو من يدير كل شيء .. هو الذي أطلق الحراس على (ونستون) وهو من منعهم من قتله .. هو من يمالأ الأسئلة ويقترح الإجابات ..

كان هو المعذب والمحقق والمحامي .. كان هو صديقه .. ولا يعرف (ونستون) إن كان هذا بفعل المخدر أم أنه فعلاً سمع (أوبراين) يقول له :

- « لا تقلق يا (ونستون) .. أنت تحت حمايتي .. لسبعة أعوام لرافقك ، والآن جاء دوري لأثبنتك .. سأجعلك كاملاً .. »

لا يعرف إن كان هو أم لا .. لكن الصوت صوته .. نفس الصوت الذي قال : « سوف نلتقي حيث لا يوجد ظلام » ..

كان يرقد مثبتاً بإحكام بينما (أوبراين) ينظر له في نوع من الأسى .. كان وجهه مليئاً بالتجاعيد ، وخطر له أن

الرجل أسن مما قدر من قبل .. لابد أنه فى الخمسين ..
وكان يمسك فى يده بقرص لتشغيل الكهرياء ..

قال (أوبرايان) :

« قلت لك إنه لو التقينا ثانية فلسوف يكون ذلك هنا .. »

« نعم .. »

وبدون قذاز وبمجرد حركة بسيطة من يد (أوبرايان) ، سرت
موجة ألم فى جسده .. كان ألما مفرغا لأنه لم يفهم
ما هنالك .. لم يعرف إن كان هذا حقيقيا لم أن لكهرباء جعلته
يشعر بذلك .. لكن جسده كان يتشوه .. مفاصله تتمزق ببطء ..

برغم أن الألم كان عتيا ، فإن الأسوأ هو شعوره بأن عموده
الفقرى سينكسر .. ضغط على أسناته محاولا أن يصمت ..

قال (أوبرايان) :

« أنت خائف من حركة أخرى قد تحطم شينا .. لديك
صورة حية تمثل عمودا فقريا مهشما والسائل ينز منه .
أليس كذلك يا (ونستون) ؟ »

لم يجب (ونستون) .. هنا حرك (أوبرايان) القرص
فزال موجة الألم كما بدأت ..

« كان هذا أربعين .. يمكنك أن ترى أن الأرقام تتدرج
حتى مائة .. هل لك أن تتذكر أننى استطعت فى أية لحظة أن
أولمك ولأية درجة أريد ؟ لو قلت لى أكاذيب أو أبديت ذكاء
أقل فلسوف تصرخ ألما .. هل تفهم هذا ؟ »

« نعم .. »

كان (أوبرايان) يتكلم بأسلوب يجمع بين أسلوب المعلم
والطبيب وحتى الكاهن .. كأنه يرغب فى الشرح أكثر مما
يرغب فى العقاب ..

« أنا اتعب نفسى معك يا (أوبرايان) لكنك تستحق .
مشكلتك أن ذاكرتك مختلفة ، وأنتك تتصور حدوث أمور لم
تحدث قط .. لكن من حسن الحظ أنك قابل للشفاء .. أعرف
حتى الآن .. أنك تتمسك بمرضك كأنه فضيلة .. دعنا نأخذ
مثالا .. مثلاً ما القوة التى تحاربها (أوشيانيا) الآن ؟ »

« حين قبض على كانت (لوشيتيا) تحارب (إيستلسيا) »

« نعم .. جميل .. و (لوشيتيا) تحارب (إيستلسيا) يوما ..
أليس كذلك ؟ »

فتح (ونستون) فاه ليتكلم ثم أثار الصمت .. وأبقى عينيه
على القرص ..

« أذكر أنه قبل القبض على بأسبوع كانت الحرب مع (أوراسيا) .. وقد استمرت أربع سنوات .. »

فأوقفه (أوبرايان) بده وقال :

« مثل آخر .. منذ أعوام كنت تخرف .. اعتقدت أن ثلاثة أعضاء من الحزب هم (جونز) و(أرونسون) و(رنر فورد) الذين أعدموا بسبب الخيانة والتخريب .. اعتقدت أنهم غير متنبين لأنك رأيت وثيقة تؤكد بلا شك أن اعترافهم كانت مزيفة . ثمة صورة كنت تهلوس بسببها .. كانت صورة مثل هذه .. »

وظهر مستطيل مقطوع من صحيفة بين يدي (أوبرايان) . كانت صورة فوتوغرافية بلا شك . صورة فوتوغرافية كالتى وضع يده عليها ثم دمرها .. للحظة كانت أمام عينيه ثم توارت .. لكنه رآها ! رآها .. نسي كل شيء ولم يعد يفكر إلا فى اقتزاع الصورة ..

« إنها موجودة ! »

قال (أوبرايان) :

« لا .. »

وتجه إلى ركن الغرفة لينقيها فى فتحة مهملات ، فثابت فى وهج الذهب ..

« إنها رما .. ليست حتى رماذا .. إنها غبار .. لم توجد قط .. »

« لكنها موجودة فى ذاكرتنا .. أنت تتذكرها ! أنا أتذكرها ! »

هذا هو التفكير المزبوج .. لو كان لديه أمل فى أن (أوبرايان) يكذب لتحمل الأمر ، لكنه كان متأكداً من أن (أوبرايان) نسي الصورة فعلاً .. بل ونسى دعوته لنسياتها .. بل ونسى النسيان ذاته ..

نظر له (أوبرايان) وقد بدا عليه سمع المدرس الذى يلقى الأمرين مع تلميذ عنيد لكنه واعد ..

« ثمة مقولة للحزب تتحدث عن الماضى .. قلها من فضلك .. »

« من يتحكم فى الماضى يتحكم فى المستقبل ، ومن يتحكم فى الحاضر يتحكم فى الماضى .. »

كرر (أوبرايان) الكلمات :

« من يتحكم فى الماضى يتحكم فى المستقبل .. هل هذا رأيك يا (ونستون) ؟ هل الماضى موجود فعلاً ؟ »

لم يكن (ونستون) يعرف لية إجابة يمكن أن تحميه من الألم (نعم) أم (لا) ؟ بل إنه هو نفسه لم يكن يعرف ماذا يعتقد ..

ابتسم (أوبرايان) وقال :

- « أنت لست خبيراً في الميتافيزيقا يا (ونستون) .
حتى هذه اللحظة لم تفهم ما المقصود بالوجود .. مما يكون
أكثر دقة .. هل الماضي موجود بشكل ثابت في الفضاء ؟
هل هناك مكان أو عالم من الأشياء المادية ، حيث مازال
الماضي يحدث ؟ »

- « لا .. »

- « إذن أين يوجد الماضي ؟ »

- « في السجلات .. إنه مكتوب .. »

- « في السجلات و ؟ »

- « في العقل .. في ذاكرة البشر .. »

- « في الذاكرة .. جيد جداً .. نحن - الحزب - نتحكم في
كل السجلات وكل الذكريات .. إذن نحن نتحكم في
الماضي .. ألسنا كذلك ؟ »

صاح (ونستون) ناسياً قرص التحكم :

- « لكن كيف تمنعون الناس من تذكر أشياء ؟ هذا غير
إرادي . إنه خارج نفسك .. كيف تسيطرون على الذاكرة ؟
أنتم لم تسيطروا على ذاكرتي أنا ! »

من جنيد عادت الصرامة إلى (أوبرايان) ووضع يده
على قرص التحكم .

- « على العكس .. أنت لم تتحكم فيه ، لهذا جئت هنا ..
لنت هنا لأنك فشلت في التواضع . في ضبط النفس .. لم
تقدم الخضوع الذي هو ثمن العقل .. فضلت أن تكون
مخبولاً .. فقط العقل الملتزم يرى الحقيقة .. أنت تعتقد أن
الحقيقة شيء موضوعي خارجي ذاتي الوجود .. وتعتقد أن
الدليل على الحقيقة يشرح نفسه بنفسه .. وحين تضلل
نفسك حاسباً أنك ترى شيئاً ما فإنك تفترض أن الجميع يراه
مثلك .. لكن دعني أخبرك أن الحقيقة ليست من الخارج ،
بل هي موجودة في عقل كل إنسان .. موجودة فقط في عقل
الحزب الذي هو جمعي وخالد .. ما يعتقد الحزب أنه حقيقي
هو حقيقي .. مستحيل أن ترى الحقيقة إلا إذا نظرت من
خلال عيني الحزب .. عليك أن تتواضع بنفسك قبل أن
تتمتع بالعقل .. »

وصمت للحظات كأنما يترك لكلماته أن تحدث تأثيرها ..

- « هل تذكر ما كتبت في مذكراتك ؟ الحرية هي حرية
أن تعلن اثنين واثنين يساويان أربعة ؟ »
- « نعم .. »

أخفى (أوبريان) إبهامه وفرد يده في وجه (ونستون)
وقال :

- « كم إصبعاً ترى ؟ »

- « أرى أربعة أصابع .. »

- « ولو قال الحزب إنها خمسة أصابع .. فكم عددها ؟ »

- « أربعة .. »

وانتهت كلمته بشبهة لم .. لقد صار مقياس القرص 55 ..
غمر العرق جسده ، وأطلق شهقة لم عجز معها عن التنفس ..

- « كم عددها ؟ »

- « أربعة .. »

الآن لرتفع المؤشر إلى 60 ..

لا بد أن الإبرة ارتفعت أكثر لكنه لم ينظر لها .. ظلت
الأصابع أمام عينيه . مهترة .. مضطربة .. لكنها بالتأكيد
أربعة .

- « كم عددها يا (ونستون) ؟ »

- « خمسة !! خمسة .. خمسة !! »

- « لا يا (ونستون) .. أنت تكذب .. ما زلت تعتقد أنها
أربعة .. كم إصبعاً ؟ »

- « أربعة .. أربعة .. أي شيء تريد .. فقط لو قف الألم .. »

فجأة وجد نفسه جالساً وذراع (أوبريان) على كتفه ..
كانت قبوده قد ارتخت قليلاً .. كان يرتجف والدمع ينساب
من عينيه .. فلا بد أنه فقد الوعي قليلاً ..

برقة قال (أوبريان) :

- « أنت بطيء التعلم يا (ونستون) .. »

- « لا حيلة لي في ذلك .. كيف أمنع ما تراه عيناي ؟ »

- « أحياناً تكون خمسة .. أحياناً ثلاثة .. أحياناً كلها مرة
واحدة .. من الصعب أن تحتفظ بعقلك .. »

وأشار إلى الرجل ذي المعطف الأبيض الذي ظل
بلا حركة طيلة الوقت ، فتفحص هذا حدقسي (ونستون)
ونبضه وأصغى إلى صدره .. ثم هز رأسه . فقال
(ونستون) :

- « من جديد ! »

انفجرت إبرة في ذراعها ، وشعر بدفء مريح يضر
جسده .. لقد نسي نصف الأكم .. نظر في امتنان إلى
(أوبرايان) .. لم يحبه قط مثل تلك اللحظة .. ليس فقط لأنه
لوقف الأكم . بل لأن الشعور القديم عاوده بأن (أوبرايان)
يمكن للكلام معه .. لقد عذبه (أوبرايان) إلى ما يقرب
الجنون ، ومن المؤكد أنه سيرسله إلى الموت .. لا فارق ..
لكنهما صديقان حميمان . بينهما حوار ما ..

ونظر له (أوبرايان) في تعاطف وقال :

- « هل تعرف أين كنت ؟ »

- « لا أعرف .. ربما في وزارة الحب .. »

- « ولماذا تحسبنا نجلب الناس هنا ؟ »

- « كي يعرفوا .. »

- « لا .. ليس هذا السبب .. حاول ثانية .. »

- « كي تعاقبهم .. »

صاح (أوبرايان) :

- « لا ! ألم تفهم بعد ؟ لقد أحضرنك هنا كي تشفيك

كي نجعلك عاقلاً . لانعباً بالجرام السخيفة التي اقترفتها ..

وسرى الأكم من جديد في جسد (ونستون) .. لا بد أن
القرص مضبوط على 75 الآن .. لم يعد يلاحظ إن كان
يصرخ أم لا .. وبدأ الأكم يضمحل من جديد .. وفتح عينيه ..

- « كم عددها يا (ونستون) ؟ »

- « أربعة .. أعتقد أنني أرى أربعة .. أحاول أن أراها
خمس .. »

- « ماذا تفضل ؟ أن تقضي بلك ترى خمسة أم تراها فعلاً ؟ »

- « لن أراها فعلاً .. »

- « مرة أخرى .. »

بدو أن الإبرة صارت على 80 .. أو 90 .. وبين جفنيه
المنهكين كان يرى بدا تكبر .. تصغر .. ترقص .. تدور ..
وأدرك أنه من الصعب أن يراها .. لأنه من الصعب أن
يعرف إن كانت خمسة أصابع أم أربعة ..

- « كم إصيفاً ألوح بها يا (ونستون) ؟ »

- « لا أعرف .. لا أعرف .. سوف أموت لو أنك فعلتها

ثانية .. بكل أمانة لا أعرف .. »

- « هذا أفضل .. »

الحزب لا يعا بالافعال للظاهرة .. الأكل هي ما نبحث عنه .. نحن لا ندمر أعداءنا بل نغيرهم .. هل تفهم هذا ؟ نحن لمنا محاكم تفتيش .. محاكم التفتيش في القرون الوسطى كانت تحكم الإنسان بتهمة الإلحاد ، لكنها في الحقيقة نشطته .. لأنه ما من أحد من الذين احرقهم أبدى التندم على أفكاره .. »

« في القرن العشرين ظهر الشموليون مثل النازيين والسوفييت .. السوفييت حرصوا على أن يجربوا ضحاياهم من كل كرامة قبل إعدامهم حتى لا يعتبرهم أحد أبطالاً .. كانوا ينهكونهم بالتعذيب حتى يعترفوا بأي شيء يطلب منهم .. ويتوسلوا طلباً للرحمة .. لكن بعد أعوام تكرر الشيء ذاته وتحول الموتى إلى أبطال .. لماذا ؟ لأن كل واحد يستطيع أن يدرك أن الاعترافات التي قدموها تحت التعذيب لم تكن صحيحة .. نحن لانكر هذا الخطأ .. كل اعتراف يقل هنا حقيقى .. نحن نجعله حقيقياً .. أنت تتوقع أن الأجيال للقائمة تسمع عنك .. لا .. الأجيال القائمة لن تسمع حرفاً عنك ؛ لأننا سنحولك إلى غاز ونلقى بك في الفضاء الخارجى .. ستمحى من الماضى والمستقبل .. لن تكون قد وجدت أبداً .. »

فكر (ونستون) :

« إننا لماذا نتعبدون أنفسكم بتعذيبى ؟ »

كأنما سمع (أوبرايان) ما قيل ، رد على (ونستون) :

« ألم تفهم ما قلته لك عن المحاكمين فى الماضى ؟ نحن لانقبل الطاعة السلبية .. حين تخضع لنا سيكون هذا بكامل إرادتك .. نحن لاندمر المهترطق مادام يقاومنا . نحن نعيد تشكيله . نجعله واحداً منا .. نحن لاتسمح بأى انحراف حتى فى الموت .. نظهر العقل قبل أن ندمره .. الوصايا الدينية تقول : « أنت لن » .. السوفييت يقولون : « أنت سوف » .. نحن نقول « أنت كذا .. » .. هكذا يموت للخونة وهم يفكرون فى الأخ الأكبر معتين له .. »

كان صوته قد صار حالماً .. وأفرك (ونستون) أنه لا يمثل ولا ينفق .. بل هو يؤمن بكل كلمة يقولها .. وضايقه شعوره بالانحطاط الثقافى . إن (أوبرايان) قد فكر فى كل خاطرة دلت أو يمكن أن تكرر فى ذهن (ونستون) . إن (أوبرايان) ليس مجنوناً .. الاحتمال الأكبر أن (ونستون) هو للمجنون ..

« لا تحسب أنك ستهرب منا يا (ونستون) .. نحن سنحطمتك ونغيرك للأبد .. سيموت كل شيء بداخلك .. ستكون مفرغاً .. ثم نملوك بنا .. »

ثم أشار للرجل ذى المعطف .. فشر (ونستون) بجهاز ثقيل يوضع تحت رأسه ..

« ثلاثة آلاف .. »

وشعر بوسلنتين توضعان على صدغيه فأصدر أقيناً ..
هناك ألم قادم . نوع جديد تماماً من الألم ..

- « هذه المرة لا ألم .. فقط أبقى عينيك مثبتتين لعيني .. »

هذه المرة حدث انفجار لكنه بلا صوت .. بالتأكيد كان
هناك ضوء وامض ساطع .. وبرغم أنه كان بالفعل على
ظهره ، فإنه شعر كأن الضربة ألقت في هذا الوضع . كان
هناك فراغ .. كأنما قطعة انتزعت من مخه ..

- « لن يدوم الأمر .. الآن قل لي .. ما البلد الذي تحاربه
(أوشيتيا) من البداية ؟ »

فكر (ونستون) .. كان يعرف (أوشيتيا) و (أبوراسيا)
و (إيسناسيا) . لكن أيهما كانتا في حرب .. لا يذكر ..
بالواقع لم يكن يعرف أن هناك حرباً ..

- « لا أذكر .. »

- « أوشيتيا كانت في حرب مع (إيسناسيا) . منذ بداية
حياتك .. منذ تكوين الحزب .. منذ بداية التاريخ . هل تذكر
هذا الآن ؟ »

- « نعم .. »

ثم مد يده له وقد تشى الإبهام وقال :

- « أنت ترى الآن خمسة أصابع .. هل تراها فعلاً ؟ »

- « نعم .. »

كان كل اقتراح يقدمه (أوبرايان) يسد ثغرة في ذهنه
ويتحول إلى حقيقة لا ريب فيها ..

قال (أوبرايان) :

- « أنت على حق فيما كتبت في مذكرتك .. أنا بالفعل شخص
يمكن التحدث معه .. وأنا أحب الكلام معك فعلاً قريب من
عقلي ، فيما عدا أنك بالطبع مجنون .. هل تريد أن تسألني
عن أي شيء ؟ »

- « نعم .. ماذا حدث لـ (جوليا) ؟ »

- « لقد خانتك . بسرعة فائقة .. فجأة لحرق كل خداعها
وحماقتها وسوء تفكيرها .. هذه حالة تحول كاملة .. حالة
تصلح للمراجع .. »

- « عذبتموها ؟ »

رفع (أوبراين) حاجبًا وقال :

« السؤال التالي ؟ »

« هل الأخ الأكبر موجود ؟ »

« بالطبع موجود .. إن الحزب موجود ، والأخ الأكبر

هو تجسيم للحزب .. »

« هل هو موجود كما أننا موجود ؟ »

« أنت لست موجودًا .. »

« أنا موجود .. أنا واع بهويتي .. ولدت وسوف أموت ..

لدى ذراعين وقلمان .. أشغل حيزًا من الفراغ ، ولا يوجد جسم

ملاى يستطيع احتلال نفس الحيز فى نفس الوقت .. بهذا

المعنى .. هل الأخ الأكبر موجود ؟ »

« لا يهمك هذا .. لكنه موجود .. »

« هل (الإخوة) موجودون ؟ »

« لن تعرف هذا أبدًا .. حتى لو أطلقنا سراحك وعشت

حتى تبلغ التسعين .. »

راح صدر (ونستون) يعلو ويهبط ، وفى النهاية سأل
السؤال الذى كان يجب أن يوجهه أولاً :

« ماذا فى الغرفة رقم 101 ؟ »

« أنت تعرف ما فى الغرفة 101 يا (ونستون) .. الجميع
يعرف .. »

وأشار للرجل ذى المعطف الأبيض ، فغرس الإبرة فى
ذراع (ونستون) .. وسرعان ما غرق فى نوم عميق ..

سأله (ونستون) :

- « هل قرأته أنت ؟ »

- « بل وكتبته .. بالتعاون مع آخرين .. لا يوجد كتاب
فردى كما تعلم .. »

- « هل ما فيه حقيقى ؟ »

- « كوصف .. نعم .. لكن خطته كلام فارغ .. تراكم
المعرفة .. للتطوير .. ثورة البروليتاريا .. إزاحة الحزب ..
البروليتاريا لن تثور والحزب لن يزول .. ولو بعد ألف
عام .. لتكون هذه نقطة البدء فى تفكيرك .. »

ثم قرب وجهه من (ونستون) وقال :

- « والآن ، نأتى لسؤالك (لماذا ؟) .. لماذا نريد القوة ؟
مادافعنا ؟ هلم تكلم .. »

لم يتكلم (لوبرايان) لأن الإنهاك غلبه .. هنا عانت الحماسة
إلى (لوبرايان) الذى ضمن ما سيقوله (ونستون) .. سيقول إن
الحزب لا يريد القوة لمنفعته بل لمنفعة الجموع .. يطلب
القوة لأن الجماهير مخلوقات جبلة لا تتحمل الحرية لهذا
يجب أن يحكمهم من هم أقوى . إن خيار البشرية هو
الحرية أو السعادة .. والغالبية تفضل السعادة ..

الفصل الثامن عشر

قال (أوبرايان) :

- « ثمة ثلاث مراحل فى إعادة ضمك لنا .. هناك التطم
فالفهم فالقبول .. هذا وقتك كى تدخل المرحلة الثانية .. »

كالعادة كان (ونستون) يرقد على ظهره .. لكن قبوده
ارتخت نوعاً . كذلك لم يعد قرص الكهرباء مربعاً .. يمكنه
تحاشيه لو أظهر ذكاء واضحاً .. فقط حين يبدى الغباء كان
(أوبرايان) يستعمله . كم من الوقت امتدت هذه الجلسات ؟
لا يدري .. ربما بضعة أيام أو بضعة أشهر ..

قال (أوبرايان) :

- « وأنت راقد هنا تساعت لت لماذا تضع وزارة الحب كل
هذا الجهد والوقت عليك .. يمكنك فهم ميكانيكية المجتمع
الذى تعيش فيه لكن ليس دوافعه الخفية .. هل تذكر حين
كتبت فى مذكراتك : أنا أفهم (كيف) لكن لا أفهم (لماذا) ؟
أنت قرأت كتاب (جولدنشتاين) .. فهل كان فيه شيء
لا تعرفه فعلاً ؟ »

كلا يقول هذا حين مزق الأكفم جسده .. لقد حرك
(أوبراين) القرص إلى 35 ..

- « هذا كان غيباً يا (ونستون) .. يجب أن تعطى إجابة
أفضل .. الحزب يطلب القوة لنفسه ولا يعيننا خبر
الجماهير . لا تهمننا الثروة ولا الرفاهية .. فقط نريد القوة ..
نحن نعرف ما نريد وفي هذا تتفوق على كل حكم دكتاتوري
سابق .. النازيون والشيوعيون اقتربوا من أساليبنا لكنهم
لم يعترفوا لأنفسهم قط .. زعموا أنهم يملكون القوة غير
راغبين فيها . ولفترة محدودة إلى أن يحققوا جنتهم حيث
الجميع متساوون .. نحن لا نفعل كذلك .. نحن نؤمن أن
القوة غاية وليست وسيلة . المرء لا يمارس الدكتاتورية
كي يشعل ثورة ، لكنه يشعل ثورة كي يمارس الدكتاتورية ..
هل بدأت تفهمنى ؟ »

كان (ونستون) ينظر لوجه (أوبراين) المسمن المنهك ..
هنا قرب الرجل وجهه منه وقال :

- « أنت تفكر فى أننى أتحدث عن القوة وأشيخ برغم
ذلك . ألا تفهم أننا خلايا .. الجسد لا يموت بموت خلية ..
هل تموت أنت لو قصصت أظفارك ؟ ألم تتأمل مرة مقولة
الحزب : الحرية هي العبودية ؟ ألم تفكر أنها يمكن أن

تعكس لتكون : العبودية هي الحرية ؟ الفرد وحده هش قابل
للهزيمة .. الموت هو أكبر الهزائم .. لكنه لو صار عضواً
فى الحزب فسيبقى للأبد .. وما أعزبه بالقوة هو السيطرة على
العقل وليس المادة .. إن سيطرتنا على المادة مطلقة .. »

- « لكنكم لستم سادة الكوكب .. ماذا عن (أوبراسيا)
(إيستاسيا) ؟ »

- « لا يهم .. منقلبهم يوماً ما .. ولو لم يحدث فإتينا لن
ننكرهم وهكذا فلا وجود لهم .. »

- « الإنسان مجرد طفل فى هذا الكون .. »

- « كلام فارغ .. عمر الكون هو عمر وجوده بالنسبة
للوعى البشرى .. »

- « الصخور مليئة بعظام الديناصورات و(المستودون)
التي عاشت قبل أن يوجد الإنسان .. »

- « وهل رأيت أنت تلك العظام ؟ بالطبع لا .. علماء القرن
التاسع عشر اخترعوها .. قبل الإنسان لا يوجد شيء .. بعد

الإنسان لا يوجد شيء .. خارج الإنسان لا يوجد شيء .. »

- « ولتنجوم ؟ إنها شمس على بعد ملايين الأميال عنا .. »

- « النجوم ؟ ما قيمة هذه الشعلات على بعد بضعة كيلومترات منا ؟ أتحسب أنه ليس في وسعنا ابتكار علم فلك بديل ؟ يمكن أن نجعل النجوم قريبة أو بعيدة حسب حاجة الحزب .. هل نسيت التفكير المزيج ؟ »

رق (ونستون) شاعراً بالقهر .. فالإجابات السريعة تسحقه سحقاً .. لكنه كان يعرف أنه محق ..

- « إن التقدم في عالمنا هو تقدم للحصول على مزيد من الألم والعذاب .. من دون العذاب كيف تسيطر على الإنسان ؟ الفلاسفة القدامى أسسوا فلسفتهم على الحب والمساواة ، بينما فلسفتنا تأسست على المقت .. في عالمنا لن تكون هناك عواطف إلا الخوف والغضب والانتصار وإذلال النفس .. لقد نجحنا في قطع علاقة الابن بالآب وعلاقة الرجل بالمرأة .. لن يبقى الإنسان ثنية في زوجته أو لونه .. لكن في المستقبل لن يحتاج أحد إلى زوجة أو صديق .. لن يكون هناك حب إلا حب الأخ الأكبر .. لن يكون هناك إخلاص إلا الإخلاص للحزب .. لا فرحة إلا فرحة النصر أمام عدو مهزوم .. لن نحتاج إلى لطم ولا الفخ .. لو أردت تخيل لغة فتخيل حذاء ثقيلاً يهشم وجهها بشرياً .. يهشمه للأبد .. (جولد شتاين) وأعواقه سيعيشون للأبد .. سيكونون دائماً موجودين كي نشتمهم ونبصق عليهم ونفتش عنهم .. أرى لك بدأت تفهمنى .. لكنك ستفعل ما هو أكثر من الفهم .. ستشارك في هذا العالم .. »

نهض (أوبراين) قليلاً وقال :

- « لا تستطيع .. »

- « ما الذى لا أستطيعه ؟ »

- « لن تؤسس عالماً على المقت والحقد .. لن يتحمل أحد ذلك .. سوف يتحلل هذا العالم .. سوف ينتحر .. »

- « كلام فارغ .. أنت تعتقد أن المقت أصعب من الحب .. لم لا ؟ ولنفرض أن هذا صحيح فما الفارق ؟ »

من جديد تركت كلماته حالة من العجز لدى (ونستون) .. كان لا يريد الجدل كي لا يتعرض للقرص مرة أخرى ، لكنه قال :

- « لا أعرف .. لكن شيئاً ما سيهزمك .. الحياة نفسها ستهزمك .. الناس ستنهض وتعرف الحقيقة وتمزقكم .. »

- « هل ترى أى أثر يدل على هذا ؟ »

- « لا .. لكنى أؤمن بقوة روح الإنسان .. »

- « وأنت تعتبر نفسك إنساناً ؟ »

- « نعم .. »

« وتعتبر أنك أعلى منا مقامًا بقسوتنا وخداعنا ؟ »

« نعم .. اعتبر نفسي أعلى .. »

هنا سمع (ونستون) صوتًا مسجلًا .. إنه صوته في تلك الليلة التي زار فيها (أوبرايان) كان يعدده بأنه سيفعل أي شيء بما فيه القتل والتخريب من أجل الإخوة ..

قال له (أوبرايان) :

« والآن قم من على السرير .. إذن أنت آخر إنسان في هذا العالم ووارث الضمير البشري .. سأريك ما صرت إليه .. هلم لنزع ثيابك .. »

نزع (ونستون) ثيابه التي لا يذكر إن كان نزعها طيلة تلك الفترة أم لا .. تحت الأفرول كان جسده منفوخًا بخرق صفراء متسخة يفترض أنها كانت ثيابًا داخلية .. رأى أن هناك امرأة ثلاثية فذا منها .. وصارت منه صرخة لا إرادية ..

إنه يرى هيكلًا عظيمًا منحنيًا يدنو منه .. مجرد منظره مخيف وليست فقط حقيقة أنه هو بالذات .. لوجهه بلسم نحيل والفم معصوم للداخل .. لقد تغير وجهه أبعد بمراحل مما تغير هو من الداخل .. جسده قنر متسخ وبين القنورات توجد ندوب حمراء لجروح .. كتفاه منحنيان للأمام بحيث صار صدره مقعرًا وعنقه منشئيًا تحت ثقل الجمجمة ..

« قلت مرة إن وجهي .. كعضو حزب .. يبدو مسنًا فمذا عنك أنت ؟ انظر إلى كل القذارة بين أصابع قدميك .. انظر إلى القرحة الملتهبة في قدمك .. هل تعرف أنك كريبه الرائحة كالكبش ؟ ربما لم تعد تلاحظ هذا .. انظر لهزالك .. بومعى أن يلتقي إيهامى وسبابتى حول عضلة عضدك .. بومعى أن فترع عنقك كالجزرة .. لقد فقدت خمسة وعشرين كيلوجرامًا منذ جئت إلى هنا .. فقدت شعرك كله .. افتح فمك .. كم سنا بقيت لك ؟ عشرًا ؟ إحدى عشرة ؟ »

ومد يده في فم (ونستون) واستزع أحد القواطع ، ثم ألقي به عبر الزنزقة ..

« هذا هو الرجل الأخير .. لو كنت أنت إنسانًا فإن ماتراه هو الإنسانية كلها .. والآن ارتد ثيابك ثانية .. »

ارتدى (ونستون) ثيابه والثراء يملكه على ما وصل إليه جسده .. وفجأة من دون أن يعرف أنه فعلها جلس على الأرض وراح يبكى بحرقة .. كان يعرف أنه يثير الاشمزاز .. شيء قنر نحيل متسخ بثياب ممزقة يبكى .. لكنه لم يستطع ألا يفعل ..

« أنت من فعل هذا بنفسه يا (ونستون) يوم اخترت أن تقف ضد الحزب .. نحن قد أهلك .. ضربناك .. وفعلت

الفصل التاسع عشر

بدأت صحته تتحسن وازداد سمته يوماً بعد يوم ..

للزنازة كانت مريحة ، ففيها فراش ووسادة ومقعد للجلوس عليه .. سمحوا له بالاستحمام بماء دافئ وأعطوه ثياباً جديدة نظيفة . لقد ضمدوا قرحة قدمه بمرهم ملطف وركبوا له طاقماً من الأسنان الصناعية ..

الطعام جيد .. ثلاث وجبات مع لحم في الوجبة الثالثة ، بل إنهم سمحوا له ذات مرة بغطية تبغ ، وقد حصل على ثياب من الحارس الصموت .. وقد حرص على أن يقسم السجائر ليدخن نصف واحدة بعد كل وجبة ..

راح يمضي الوقت في الفراش مستمتعاً بالشعور بأن قواه تعود إليه .. ومن حين لآخر يتحسس جسده ليتأكد من أن عضلاته تزداد استدارة وجلده يغدو مشدوداً أكثر .. وراح يجرب المشي في الزنازة على سبيل الرياضة ..

الآن فقط كان يدرك سذاجة محاولته لمواجهة الحزب .. سبعة أعوام وشرطة الأفكار تراقبه كما تراقب الخنفسة تحت العنسة .. ما من فكرة لم يعرفوها .. ما من عمل لم

أنت كل شيء ممكن .. تمرغت على الأرض طلباً للرحمة وأفشيت أسرار كل شخص ويكيت ألماً .. هل تعرف قدحلاً آخر واحداً لم تقم به ؟ »

نظر له من بين الدموع وقال :

- « لنا لم أكن (جونياً) .. »

نظر له (أوبرايان) مفكراً وقال :

- « صحيح .. صحيح .. أنت لم تفعل هذا بالذات .. »

غمر الإجلال له (أوبرايان) قلب (ونستون) ثقية .. يالذكاه ! يا لذكاه ! لم يفشل قط في فهم ما يقال له . لقد تكلم عنها .. حكى عن لقاءاتهما .. خيانتها للحزب .. تعاملها مع السوق السوداء .. عنواناتها وعاداتها . لكنه لم يكف عن حبها .. بهذا هو لم يخنها . (أوبرايان) فهم هذا على الفور ..

- « قل لي . متى يطلقون على الرصاص ؟ »

- « ربما استغرق هذا وقتاً طويلاً .. أنت حالة صعبة .

لكن لا تقلق .. سوف نشفيك وفي النهاية سيطلقون الرصاص عليك .. »

يسجلوه .. بل إنهم أعدوا القبار الأبيض الموجود على غلاف مفكرته .. كانوا قد أعطوه قلمًا صغيرًا وما يكتب عليه .. فأمسك بالورقة وكتب عليها بحروف خرقاء :

الحرية هي العبودية

ثم من دون لحظة توقف كتب تحتها هذه الكلمات :

$$5 = 2 + 2$$

لقد قبل كل شيء .. التاريخ قابل للتغيير .. التاريخ لم يتغير قط .. (أو شياتيا) كانت دومًا في حرب مع (إستاسيا) .. ما أسهل الأمر .. فقط استسلم وسوف يكون كل شيء على ما يرام .. كأنما كنت تقاوم التيار فترة ثم فجأة أدركت ظهرك وسبحت معه .. فلم يتبدل شيء ..

إن الغباء مهم للمرء مثل الذكاء .. وبالمثل يصعب الوصول إليه ..

سوف يعلمونه لكن لا توجد طريقة لمعرفة متى .. ربما بعد عشر دقائق وربما بعد عشر سنين .. ربما يرسلونه لمعسكر اعتقال .. لكنه كان يعرف أنهم قبل إعدامه سيكررون ذات براما الاعتقال من جديد .. للتقليد لتى لا يتكلم عنها أحد لكنها مؤكدة ، هي أنهم يطلقون عليك النار فجأة .. على مؤخرة رأسك وأنت تمشى من زنزاة إلى زنزاة ..

لقد تغيرت أشياء كثيرة فيك . تعلم أنك كى تحتفظ بسر فطيك أن تداريه حتى عن نفسك .. فقط اعرف أنه موجود لكن لا تتركه يخرج إلى السطح على أية صورة ذات اسم .. لا يجب فقط أن تفكر بالشكل الصحيح .. بل تشعر بالشكل الصحيح .. تحلم بالشكل الصحيح ..

سوف يطلقون الرصاص . وسوف تعرف ذلك فى اللحظة الأخيرة قبل اختراق الرصاصة لمخك .. فى هذه اللحظة فقط سيخرج كل المقت للحزب .. كل ما كنت تخفيه .. سيعرفون أنهم نسلوا عقلك قبل أن يصلحوه تمامًا .. عندئذ تكون هذه هي الحرية ..

سمع صوت خطوات ثقيلة خارج الغرفة ، وانفتح الباب المعدنى ثم دخل (أوبرايان) الزنزاة .. خلفه كان ضابط شمعى الوجه وحراس بثياب سود ..

« انهض وتعال هنا .. »

نهض (ونستون) فأمسك (أوبرايان) كتفيه بيديه القويتين وقال :

« لقد فكرت فى خداعى .. كان هذا عملاً أحمق .. قف ونظر لى .. »

الفصل العشرون

هذه الغرفة كانت تحت الأرض بعدة أمتار ..

كانت أكبر من باقى الغرف التى جربها ، لكنه لم يلاحظ ما يحيط به .. كل ما لاحظته هو أن هناك منصبتين أمامه ، وعلى كل منهما غطاء من الجوخ الأخضر . ثم تقيده إلى مقعد بحيث لا يستطيع تحريك شيء .. حتى رأسه .. وكانت هناك وسادة خلف رأسه ترغمه على النظر إلى الأمام .. بعد قليل انفتح الباب ودخل (أوبرايان) ..

- « سألتنى من قبل عن محتوى الغرفة 101 فقلت لك إنك تعرف الإجابة . محتوى الغرفة هو أسوأ شيء فى العالم .. »

ثم انفتح الباب ودخل حارس يحمل شيئاً صنع من السلك .. صندوقاً أو علبة لا يعرف .. وخاصة مع الوضع الثابت الذى كان عليه ..

- « أسوأ شيء فى العالم يختلف من شخص لآخر .. بين الموت حرقاً أو غرقاً أو على خازوق .. بالنسبة لبعض الناس هو شيء بسيط وربما ليس مميّزاً . »

ثم صارت لهجته أهدأ :

- « أنت تتحسن .. لكنك لا تحرز تقدماً عاطفياً .. قل لى ولا تكذب .. ما مشاعرك الحقيقية نحو الأخ الأكبر ؟ »

- « أنا .. أكرهه .. »

- « تكرهه . عظيم . لكن جاء وقت الخطوة الأخيرة .. يجب أن تحب الأخ الأكبر . لا يكفى أن تطيعه .. »

ثم دفع به (ونستون) نحو الحراس وقال :

- « غرفة 101 .. »

الآن رأى (ونستون) الشيء .. كان جسمًا مستطيلًا له مقبض من أعلى لحمله ومقدمته تشبه قنّاع لعبة الشيش .. ولاحظ أن الشيء مقسم طولياً إلى جزأين .. وهناك مخلوقات في كل نصف .. إنها فئران ..

- « في حالتك .. أسوأ شيء في العالم هو الفئران .. »

هنا بدأ الرعب يجتاح (ونستون) .. ثم فهم معنى أن هذا القفص يشبه القنّاع ، ف شعر بأمعائه تسيل هنقا ..

صرخ :

- « لن تفعل هذا ! ليس هذا بوسعك ! »

تكلم (أوبراين) بطريقة ناظر المدرسة التي يستعملها أحياناً .. ونظر إلى بعيد كلما يخاطب المشاهدين .

- « ليس الأكم كافياً وحده .. أحياناً يتحدى المرء الأكم حتى وهو يموت .. لكن بالنسبة لكل إنسان هناك ما يتجاوز حد الجبن والشجاعة .. حين تسقط من جبل فليس من الجبن أن تفتش عن حبل .. إنها غريزة . الفئران نوع من الضغط لا تستطيع تحمله لهذا ستفعل ما نطلب منك .. »

- « لكن ما هو ؟ كيف أفعل ما لم أعرفه ؟ »

قال (أوبراين) :

- « الفئران في هذه البقعة من المدينة آكلة لحوم .. هل تعرف أن الأم لا تجرؤ على ترك رضيعها أكثر من دقيقتين وإلا ظفرت به ؟ إن لديها حاسة خارقة لتبين متى تكون ضحيتها عاجزة .. »

وحمل القفص ليصير على بعد أقل من متر من (أوبراين) ..

- « ضغطت الرافعة الأولى .. إن القنّاع سيثبت على وجهك بلا مخرج . حين أضغط الرافعة الثانية يفتح الباب .. ستخرج هذه الوحوش الجائعة كأنها طلقات الرصاص .. أحياناً تبدأ بالعينين وأحياناً تخترق الخدين لتقتهم اللسان .. »

كان القنّاع الآن قريباً جداً ، والفئران تعرف ما هو آت .. راحتها لكريهة تترك أنفه .. فلر عجوز نوحراشف جاء من الباقوعات يقف على القضبان يتشمم الهواء .. من جديد استبد الهلع بـ (ونستون) .. إنه معدوم الحيلة أعمى بلا عقل ..

قال (أوبراين) كأنه يحاضر :

- « كان هذا عقاباً شتقاً في الصين الإمبراطورية .. »

كان يفكر كالمجنون . لا توجد طريقة تقيه من الفئران
إلا بأن يضع جسدا بشريا آخر بينه وبينها ..

هكذا صرخ :

« افعلوا هذا مع (جوليا) ! افعلوا هذا مع (جوليا) !
ليس أنا ! لا أبالي بها ! مزقوا وجهها حتى العظام .. ليس
أنا ! »

كان يسقط في ظلمات هائلة بعيدا عن الفئران .. خارج
حدود الكون .. إلى الخلقان ما بين النجوم .. فقط بعيدا
بعيدا بعيدا ..

القفص ما زال يلامس خده ، لكنه سمع صوت (كليك)
فعرف أن القفص يُغلق ولا يفتح ..

الفصل الواحد والعشرون

كان مقهى (شجرة الكستناء) خليا تقريبا ، وسقط شعاع شمس
على منضدة مكموسة بالغبار .. كانت هذه الساعة الخامسة
عشرة الموحضة ، ومن شلثة تليسكرين خرجت موسيقا معنوية .
جلس (ونستون) في ركنه المعتاد يرمى كأسه الفارغة ..
ومن حين لآخر يرمى الوجه العريض على الجدار المقابل :

الاخ الاكبر يراقبك

كما يقول التطيق .. وجاء الساقى يملأ كأسه بجين النضر ..
ثم وضع قطرت من زجاجة أخرى لها سداة .. كان هذا هو
السكرارين بنكهة القرنفل .. الطلب المخصوص للمقهى ..

راح يرمى الشاشة .. متوقفا أن يسمع بيانا من وزارة
المسلم .. إن الأخبار مقلقة ، فجيوش (أيوراسيا) (إن
لوشياتيا كانت دوما في حرب مع أيوراسيا) يتحرك بسرعة
مفرعة جنوبا .. يبدو أن الكونغو كانت مسرح قتال ، وأن
(براتفيل) و (ليوبولدفيل) في خطر . ليس الخطر هو فقد
وسط إفريقيا ، بل إن حدود (لوشياتيا) ذاتها في خطر ..

لقد ازداد سمعة منذ أطلقوا سراحه واستعاد لونه .. بل
إنه صار وديا . يأتيه الساقى بمجلة التايمز والشمطرنج ،
وقد فتح المجلة على لغز شطرنج .. إنهم يعرفون عاداته ..

هو لم يعد يعد مشروباته .. لا يهم .. من حين لآخر يقدمون له قصاصة ورق متسخة عليها أرقام يقولون إنها فاتورته فيدفعها دون تدقيق .. إنه الآن يمارس عملاً مجزياً .. عملاً أقرب للبطالة ..

جاء الصوت من التليسكوبين :

« مطلوب منكم التأهب لسماع أنباء في غاية الأهمية في الساعة 30 : 15 .. أنباء مهمة جداً .. »

شعر بتوتر .. معنى هذا أن هذه الأنباء من الجبهة ، وهي سيئة على الأرجح .. لو سيطرت جحافل (أوراسيا) على إفريقيا كلها فمعنى هذا تقسيم (أوشيانا) إلى نصفين .. معنى هذا تدمير الحزب ! وتصارعت عدة عواطف في داخله .. طبقات عدة لا يمكن أبداً أن تتبين أيها كان هو الأكثر عمقا ..

لا شعورياً راح يعثر بإصبعه في الغبار على المنضدة وكتب :

$$2 + 2 =$$

قالت له : ان يصلوا لأصنافك .. لكنهم وصلوا لأصنافك فعلاً .. قل له (أوبرايان) : ما سيحدث لك هنا سيستمر للأبد .. كان هذا حقاً ..

لقد قابلها .. لم يعد هذا خطراً .. لم يعودوا يخشونك ولا يهتمون بما تفعله الآن .. كان يوماً بارداً في الحديقة وهو يهرع بعينين دامعتين ، حين رآها على بعد عشرة أمتار .. لم يتعرفها في البدء ومر بها دون التفات ، ثم استدار وبدأ يتبعها .. لم تتكلم .. مشيت عبر الأعشاب كأنما هي تحول التخلص منه .. كان الطقس بارداً والريح تصفر عبر الفصون ..

لا توجد هنا تليسكوبين ، لكن هناك بالتأكيد مكبرات صوت وكاميرات .. لكن لا يهم ..

عرف ما تغير فيها .. كان وجهها أكثر كآبة ، وهناك ندبة على جبهتها يخفيها شعرها ..

لم يحاول الكلام ولم يلمسها .. فقط رأى في عينيها نظرة توحى بالمقت أو الاحتقار ..

قالت له بجرأة :

« أنا خنتك .. »

ونظرت له بكراهية من جديد .. وقالت :

« حينما يهددونك بشيء لا تطيقه تقول لهم : لا تفعلوا هذا .. خنوا أحداً آخر سواي .. وتقع نفسك بئسك لم تكن ما قلت وإنما كنت تخدعهم .. هذا ليس صحيحاً .. لحظتها لا تبالي لحظة بمن تحب .. كل ما تريد هو أن يتركوك وشأنك .. »

« كل ما تريد هو أن يتركوك وشأنك .. »

« وبعد هذا لا تشعر نحو ذلك الشخص بالشيء ذاته .. »
قالت شيئاً عن اللحاق بالمترو ، ونهضت .. فقال لها :

« سنلتقى ثانية .. »

« نعم .. سنلتقى ثانية .. »

أراد أن يرافقتها لمحطة المترو ، لكن الفكرة بدت له لا تطاق .. لم يكن يريد شيئاً مثل العودة إلى المقهى .. فجأة بدا له أكثر الأماكن جانبية .. يشعر بالحنين نحو المنضدة ورقعة الشطرنج ..

هكذا سمح لنفسه بأن ينفصل عنها وسط مجموعة صغيرة من الناس .. ثم أبطأ فاستدار متجهاً في الطريق العكسي .. ثم نظر للوراء .. لم يكن في الشارع أكثر من اثني عشر ماشياً لكنه لم يرها ..

« هذا ليس صحيحاً .. لحظتها لا تبالي لحظة بمن تحب .. كل ما تريد هو أن يتركوك وشأنك .. » .. هو لم يبال فقط .. بل تمنى أن تكون هي مكلفه ..

كان يعمل عملاً ما في لجنة فرعية من لجنة فرعية في

وزارة الحقيقة ، تراجع الطبعة الجديدة من قاموس اللغة الجديدة .. يقدم تقارير عن أشياء مثل هل ينبغي وضع الفاصلة داخل الأقواس أم خارجها .. كان هناك أربعة مثله في لجنة الفاصلة .. وكانت هناك أيام يجتمعون فيها وينفصلون معترفين بأنه لا يوجد ما يفعلون ..

ظل يرمى لغز الشطرنج حيث جلس في المقهى ، حين دوى صوت نفير عال يخرق الهواء .. النصر ! لابد من نصر حين يدوى النفير قبل الأخبار .. حتى المسافة توقفوا وأرهقوا السمع ..

الآن جاء صوت من التليسكوب لكن كان من العسير تمييزه وسط صوت التهليل من الخارج .. لقد حدث ما توقعه بالضبط .. أسطول بحري عملاق قد وجه ضربة مفاجئة لمؤخرة خطوط العدو .. وراحت عجلات تدوى مثل :

« عملية استراتيجية واسعة تتصيق بلرع هزيمة منكرة نصف مليون أسير السيطرة على إفريقيا كلها الحرب دنت من نهايتها ... أعظم نصر في تاريخ البشرية .. »

راحت قدماء تتحركان من تحت المنضدة .. كان يركض

مع الجموع فى الشارع .. الأخ الأكبر ! الصالح الذى يحمى
 العالم ! الصخرة التى حطمت جحافل آسيا نفسها عليها .. منذ
 عشر دقائق كان يتساءل إن كانت الأخبار من الجبهة تعنى
 النصر أم الهزيمة .. لقد تغيرت أشياء كثيرة منذ كان فى
 وزارة الحب ، لكن التغيير الأكبر لم يأت إلا الآن ..

كان يرى نفسه الآن فى وزارة الحب .. يعرف بكل شيء عن
 أى واحد .. يمشى فى ممر أبيض عريض كأنما هو يمشى فى
 ضوء الشمس .. والرصاصة التى تمناها كثيراً تخرق ظهره ..

ونظر إلى الوجه الهائل للأخ الأكبر .. لقد احتاج إلى أربعين
 سنة كي يعرف نوع الابتسامة التى يداريها هذا الشارب
 الأسود .. أواه على سوء الفهم القاسى عديم الجدوى ! أواه
 على العنفى الإرادى بعيداً عن الصدر الذى يحبك ! وتكحرجت
 دمعتان لهما نكهة (الجين) على جاتبى أنفه .. لكن كل
 شيء على ما يرام .. كل شيء على ما يرام ..

لقد انتهت المعركة .. وانتصر على نفسه ..

لقد أحب الأخ الأكبر ..

جورج أورويل

١٩٤٤

مكتبة متكاملة
لاشهر الروايات العالمية

رواية شهيرة من الأدب العالمي



1984 الجزء الثاني

في العام 1984 لا يمكنك أن تكون وحيداً في أي مكان .. حتى التفكير
مغامرة داهية .. لأن كل رطة الأفكار .. بحث عن المكنون .. وتعرف كيف تجدهم
وعندها يجد .. أن يتم الاعتراف الكامل قبل القتل
في العام 1984 خذ الحذر من تعبيرات وجهك .. لا تبق أبداً في
اللازم .. ولا تنق أبداً فيمن تحب .. لو بقي أشخاص يمكن أن تغدروهم كذا
في العام 1984 قد تنسى الكثير .. لكن تذكر أن الأخ الأكبر يراقبك ..

51

336196

1984

مطابع
الكتاب الجديد

مكتبة متكاملة
لاشهر الروايات العالمية

التمتع في دهم
وملاحة بالبحر في البحر
في سال للقول في سال